# الشرق

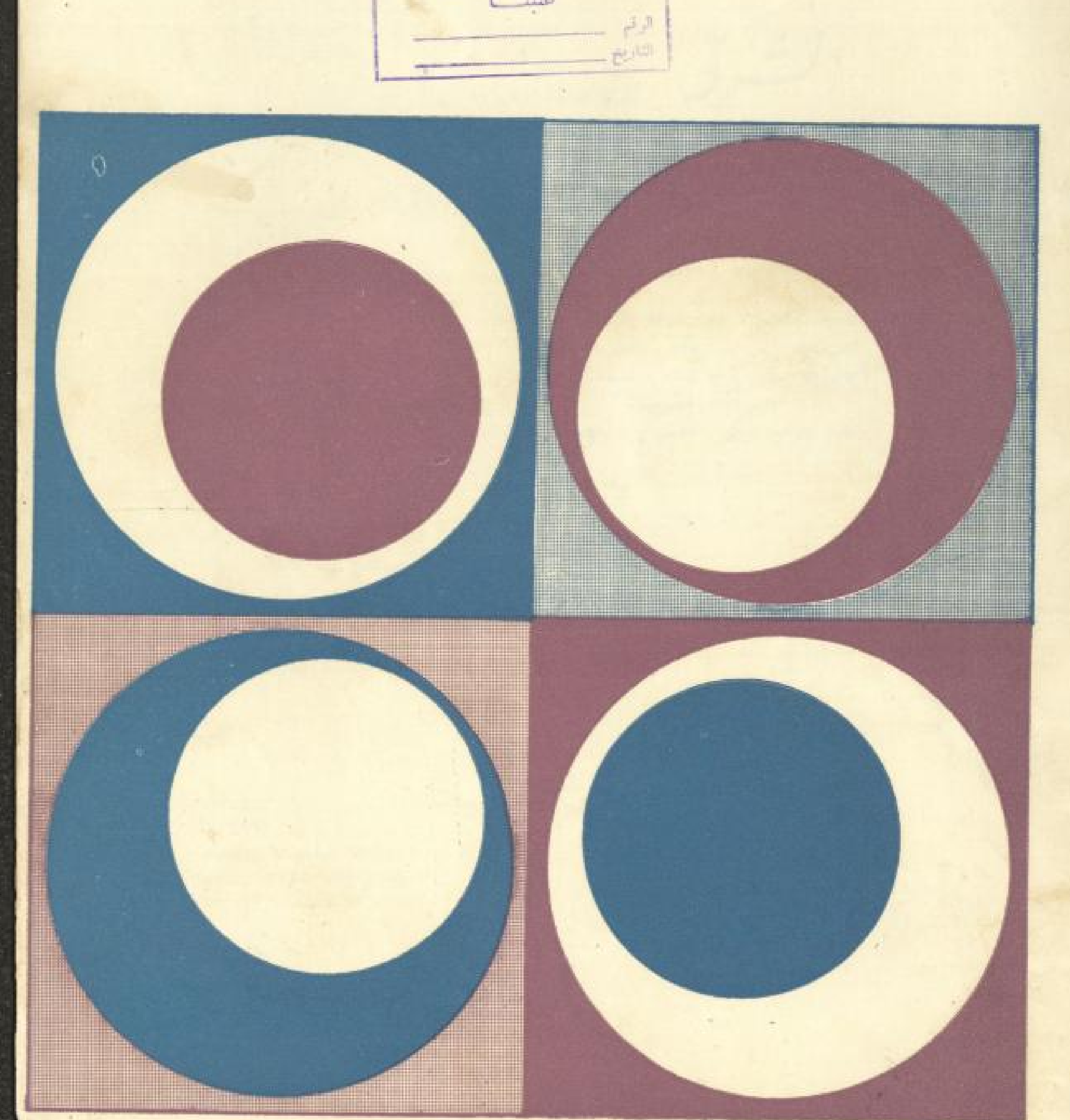
نيسان ، ١٩٧٣ ، السنة ٣ ، العدد ١١

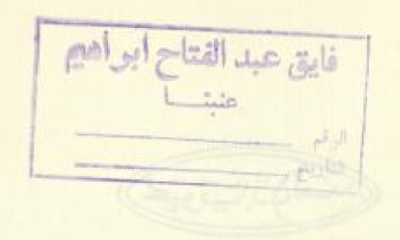
الدكتور دافيد صيمخ : محمد مندور والشعر الجديد

مسرحية :

بار لا غير كفست : حلم رجل يموت








# الشرق


نيسان ، ١٩٧٣
السنة الثالثة ، العدد ١١


مجلة شهرية تعنى بشؤون الادب والفكر والفن
تصدر عن صحيفة «الانباء»


مدير التحرير والادارة : **محمود عباسي**
رئيس التحرير : **زكي درويش**
سكرتير التحرير : **انطون شماس**

الادارة : القدس ، شارع هاركما رقم ٧ (ت ٥٢٧٢٣٣)
للمراسلات : ص.ب ـ ٤٢٨ ، القدس .
الاشتراك السنوي : ١٠ ل.١٠. ـ لنصف سنة : ٦ ل.١٠.
الثمن : ليرة اسرائيلية
مطبعة «دوكمة» م.ض ، القدس ، ت ٥٣١٩٢٩

"A-SHARQ"
THE EAST
A Monthly Magazine for Literature & Art
Published by (AL ANBA)
P.O.B. 428 Jerusalem Tel 527233

„א-שרק"
המזרח
ירחון לעניני ספרות, הגות ואמנות
יוצא לאור ע"י עתון „אל-אנבא"
ת.ד. 428 — ירושלים טל. 527233



الدكتور دافيد صيمح

# محمد مندور والشعر الجديد

ترجمة : محمود عباسي

عندما توفي محمد مندور[١] عام ١٩٦٥ ، كان قد وطد مكانته كشخصية بارزة في نقد الادب العربي • وقد وصفه احد الكتاب بانه « اكبر ناقد عرفه ادبنا الحديث[٢] • استنبط محمد مندور نظرية ادبية منتقاة ، تجسد مبادىء الرومانسيين ، والرمزيين ، ودعاة الفن للفن •

كان مندور كاتبا خصبا ، وقد كان في عمله الادبي اكثر وضوحا من اي ناقد ادبي من ابناء جيله في التعبير عن التيار النقدي الذى اوجده اولا الدكتور طه حسين • وكانت نظرية النقد الادبي التي اقترحها متأثرة بنظرية غوستاف لانسون ، استاذ طه حسين[٣] ، والذى ترجم مندور الى العربية بحثه المشهور [٤]

"La Methode de L'histoire Litteraire"

ويعتبر النقد الادبي بموجب هذه النظرية فنا وليس علما ، اذ يبحث هذا النقد عن القيم التي يتجاهلها العلم ، ويهتم بما هو خاص ، بينما يهتم العلم بكل ما هو عام • ونظرا لان الادب يحتوى على فوارق دقيقة يمكن ادراكها بالتجاوب البديهي والمباشر ، وليس بالتطبيق المنطقي لقوانين او مذاهب تصنيف خارجية ، فان الذوق الشخصي للناقد يلعب دورا هاما في ابداء رأيه وحكمه[٥] • وتجانسا مع هذه النظرية كافح مندور بحماس ملتهب ، ضد تطبيق علم النفس واستخدام الصيغ والمصطلحات للعلوم الطبيعية في دراسة وتقييم الاعمال الادبية[٦] •

كانت اعمال مندور التطبيقية في النقد الادبي متساوقة جدا مع نظريته ، كما كان اتجاهه في دراسة الادب فنيا محضا • اما احكامه عن العمل الادبي ، فقد كانت تجمع بين الذوق والمعرفة ، وهي في جوهرها بمثابة تبرير منطقي لتجاوبه الذاتي على ضوء فلسفة متماسكة ، تهتم بطبيعة الادب ووظيفته ، وخاصة بالنسبة للنوع الذى تنتمي اليه الاعمال المدروسة • يتركز نقد مندور المسرحي على الموضوع الرئيسي للحبكة ، وعلى المبنى والحوار ، وملاءمة الوسائل الفنية التي استخدمت للحصول على التأثير النهائي للمسرحية[٧] وقد عالج مندور الشعر الحديث على شكل مشابه ، سواء كان هذا الشعر مصريا او شاميا ـ امريكيا او غيره ، اذ كانت معالجته لهذا الشعر تدور حول التجربة العاطفية ، والاستعارة واللغة المنغمة ، فانه كان يؤمن بان هذه العناصر هي جزء لا يتجزأ من جميع الاعمال الشعرية • اما تفضيلاته الادبية فقد كانت تستند حصرا على العلاقة الوظيفية المتبادلة بين هذه العناصر[٨] •

وسيكون من العقم بمكان ان نحاول تقييم آثار مندور النقدية ضمن الاطار المحدود لهذا المقال • وسيكرس هذا البحث لمفهوم مندور عن الشعر المهموس ، وموقفه

١ ـ يمكن استخلاص معلومات وافرة عن سيرة مندور الذاتية من المقابلة التي اجراها معه فؤاد دوارة ، والتي نشرت في كتابه «**عشرة ادباء يتحدثون**» ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص١٦٩ـ٢٢٦ • وتعتمد على هذه المقابلة ، معظم المقالات التي كتبت عن حياة مندور واعماله بعد وفاته ،كمقال جلال العشري في«**الفكر المعاصر**» ، العدد السابع ، ايلول ١٩٦٥ ، ص ٦٤ ـ ٧٤ ، والمقال الطويل نوعا ما ، في « **الطليعة** » ، ايار ١٩٦٦ ، ص ١٣٠ ـ ١٥٢ •

٢ ـ دوارة ، نفس الكتاب اعلاه ، ص ١٧١ •

٣ ـ P. Cachia, *Taha Husayn* (London, 1965), p. 55.
راجع ايضا سامي الكيالي « **مع طه حسين** » ، « اقرأ » عدد ١١٢ ، ص ٢٥ •

٤ ـ راجع القسم الاول من : « **منهج البحث في الادب واللغة** » ، بيروت ١٩٤٦ •

٥ ـ هذه هي الآراء التي عبر عنها دائما في كتابيه التاليين : « **في الميزان الجديد** » ، و « **النقد المنهجي عند العرب** » •

٦ ـ « **في الميزان** » ، الطبعة الثالثة ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ١٥١ ، ١٩١ ـ ١٩٢ ، « **في الادب والنقد** » ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٣٦ ـ ٤٢ ، و « **الادب ومذاهبه** » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٣١ ـ ١٣٧ •

٧ ـ راجع كتابيه : « **مسرحيات شوقي** » ، القاهرة ١٩٥٦ ، و « **مسرح توفيق الحكيم** » ، الطبعة الثانية ، القاهرة دون تاريخ •

٨ ـ « **الشعر المصرى بعد شوقي** » ، ثلاثة اجزاء ، القاهرة ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ •

تجاه الشعر العربي الجديد · وساشرح في مكان لاحق من هذا المقال المعنى الدقيق لهذين الاصطلاحين ·

منذ مطلع نشاطه الادبي ، وجد مندور ان المأخذ الرئيسي الذى يؤخذ على الادب المصري المعاصر ، يتلخص بانعدام الالفة ، اذ اثبت هذا الادب مقدارا كبيرا من التكلف ، ولكنه كان يفتقر الى الصدق والاخلاص · كان الكتاب بحاجة الى بساطة ، او حتى الى سذاجة ، كي ينتجوا هذا النوع من الادب المهموس الذى يشابه الآثار الادبية الباقية في العالم[٩] · وبناء على تصوره مشاكل الادب المصري على هذا الشكل ، دعا مندور الشعراء المعاصرين والكتاب الى محاولة محاكاة الانجازات التي توصل اليها في السنوات الاخيرة بعض الكتاب العرب في المهجر الامريكي · ولهذا السبب جاءت حملة مندور التي بدأت سنة ١٩٤٢ ، من اجل ما سماه بالشعر المهموس[١٠] ·

والشعر المهموس لون من الشعر لم يتمكن مندور من تعريفه بوضوح[١١] · الا انه يمكن ، على اى حال ، استخلاص خصائصه وميزاته الجوهرية بسهولة من خلال تعليقاته على قصيدة «اخي» لميخائيل نعيمة ، والتي اوردها مندور كمثال للتوضيح · وقد اكد مندور ان هذا الشعر يخلو من الرنين الخطابي الذى هيمن على الشعر العربي ، وأفسده منذ ايام المتنبي · اذ ان الهمس وفن الخطابة هما على طرفي نقيض · فالشعر المهموس ذو موسيقى اصيلة اكثر تناغما من الايقاع المتواتر · ويعود مصدر غنى هذا الشعر الى العاطفية الرقيقة التي ينقلها هذا الشعر الينا بفضل لغته الموحية · ولذا تثير فينا قصيدة «اخي» شعورا ساميا بفضل مزيج من الكلمات المتناغمة ، وهي تثير كذلك مشاعرنا الوطنية العميقة ، دون اى محاولة للوعظ او الدعوة الوطنية ، ودون ترديد النداءات الطنانة المعلنة في الشعر الخطابي بغية التفاخر[١٢] · وتجدر الاشارة الى ان الادب المهموس ، الذى يعتبره مندور مثلا اسمى ، لا يقتصر على الشعر باى حال من الاحوال ، فقد وسعه مندور ليشمل النثر ايضا ، حيث قال : «هناك ايضا نثر صادق كالاسرار ، يتهامس بها الناس ، تسمعه فيخيل اليك انه آت من اعماق الحياة»[١٣] ·

وكمثال لهذا النثر يورد مندور مقطوعة «أمي» لامين مشرق ، وهو كاتب آخر من كتاب مدرسة المهجر الامريكي ، التي وجد فيها «فتات الحياة التي عرف كبار الشعراء ، كيف يلتقطونها بأنامل ورعة»[١٤] ·

في مكان آخر من هذا المقال ، سنرى كيف اكتسب مفهوم الشعر المهموس اهمية مجددة في كتابات مندور اللاحقة · وقبل ان ننتقل الى ارائه في الشكل الشعري الجديد ، الذي راج في الخمسينات ، تجدر الاشارة الى ان مندور قد ألقى في سنة ١٩٥٣ محاضرات تناول فيها شعر خليل مطران ، الذى شق حسب رأيه آفاقا جديدة في الشعر العربي الحديث[١٥] · وفي وقت لاحق عالج مندور موضوع الشعر في مصر مفصلا ، وذلك عندما حاضر لمدة ثلاث سنوات في دورة ادبية حول التيارات الشعرية بعد احمد شوقي · وقد وصف في احدى المناسبات تطور الادب المصرى الحديث على انه ثمرة الصراع المتواصل بين الاجيال المتتالية ، اى بين الجيل القديم ، والجيل الحديث من الكتاب · من هنا، دار صراع حقيقي بين التقليديين من ناحية ، وبين الجيل الاول من المجددين من ناحية ثانية · ويضم هذا الجيل الاول ثلاث جماعات رئيسية : جماعة الديوان ، وشعراء المهجر الامريكي ، ومطران واتباعه · وقد حمل لواء الصراع في الثلاثينات جماعة الجيل الثاني من الشعراء المجددين ، والذين سموا بجماعة «ابولو» وذلك برئاسة الدكتور ابو شادى ، وهو من اتباع مطران المخلصين · وفي اواخر الاربعينات رفع الجيل الثالث للشعراء المصريين الواقعية الاشتراكية ، الى صدر الحياة الادبية[١٦] · وقد اشار مندور في مكان آخرالى انه نتيجة للتغييرات الجذرية التي طرأت على الحياة، كان لا بد من ان يتبنى الشعراء الشباب مزيدا من الاشكال الفنية القابلة للتكيف ، حيث وجدوا ان الشعر الجديد ، الذى كان قادرا على دمج بعض العناصر

٩ – « في **الميزان** » ، ص ١٢ ·

١٠– نفس المصدر ، ص ٦٩ – ٨٥ ، ظهر اصلا في مجلة « **الثقافة** » ، آب ١٩٤٢ ، في الاعداد ١٨٩ – ١٩١ ·

١١ –اعتاد مندور استحسان الاستشهاد بالقول التالي من : « **كتاب الموازنة** » للآمدي « ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة » · راجع على سبيل المثال : « **النقد المنهجي** » ، ص ٨٧ ، ٣٣١ ، و «**النقد والنقاد المعاصرون** » ، القاهرة د·ت ، ص ٧٧ – ٧٨ ·

١٢– « **في الميزان** » ، ص ٦٩ – ٧٥ ·

١٣– نفس المصدر ، ص ٨٨ ·

١٤– نفس المصدر ، ص ٨٨ – ٩٠ ·

١٥– راجع « **محاضرات عن خليل مطران** » ، القاهرة ١٩٥٤ ، وقارن : «معركة الادب بين الشيوخ والشباب » ، « **الآداب** » ، ايار ١٩٥٧ ، ص ١١ – ١٤ ·

١٦– « معركة الادب بين الشيوخ والشباب » ·

القصصية والمسرحية ، هو انسب اداة لانتاجهم الشعري[17] .

كان «الشعر الجديد» او «الشعر الحر» الاصطلاحين اللذين اشارا غالبا الى لون من الشعر انحرف عن شكل الشعر العربي التقليدى الذى يعرف بالقصيدة ، حيث استخدم فيه عدد غير محدود من التفاعيل في الابيات ، دون الالتزام بقاعدة منتظمة بالنسبة للقافية . وكي ندرس آراء مندور حول هذا اللون من الشعر ، فمن الانجع الرجوع الى المقابلة التي اجريت معه سنة ١٩٦١ . سئل مندور في هذه المقابلة ان يقيم ويشرح ، من خلال نظرة الى الوراء ، موقفه ازاء التطور الاخير الذى طرأ على الشعر المصرى الحديث[18] . وبما ان مواقفه هذه لم تفهم كما يجب ، او اسيء تفسيرها من قبل النقاد العصريين ، فان لمحاولة مندور ، في نطاق رده على هذا السؤال ، ان يعلل تأييده للواقعية الاشتراكية والشعر الحر قيمة نفيسة بالنسبة للنقاش الذي يشغلنا في هذا المقال .

ويشير مندور الى انه ادرك بعد تجربته الطويلة في الحياة العامة ، بان العمل الادبي الاصيل لا بد ان يحتوي على قيم انسانية نبيلة في جوهر قيمه الجمالية الفنية . ولكونه على علم باحتياجات المجتمع الملحة ، اظهر مندور ميلا قويا للواقعية الاشتراكية التي تؤمن بالانسان وتحثه على تحسين حياته الخاصة ، وعلى تحسين الحياة الانسانية بشكل عام . وعلاوة على ذلك حذر بحماس من نزعة تجاهل الجمال الفني في الادب . وقد اضاف بان هؤلاء الذين يتمسكون بالفلسفة التفاؤلية ، ويتجاهلون اسس الابداع الفني ليسوا ادباء جيدين باى حال من الاحوال ، وكان قد حاول «ردهم عن الغي» . اما فيما يتعلق بناحية الشكل ، فقد ادعى بانه استرشد ، بنزوعه الى الاسلوب الجديد في نظم الشعر ، بما اسماه «اسس الشعر الخالدة» ، التي تشترط توفر المضمون العاطفي والتعبير التصويرى واللغة المنغمة .

ومن خلال هذا القدر الوجيز من اجابته ، تطرح بعض الاسئلة الهامة نفسها : ترى هل بقي مندور مخلصا لرأيه الذى كان يردده دائما ، بان الادب فن جميل ، وانه يجب ان يقيم على هذا الاساس ؟ ثم هل صحيح بانه كان حذرا ودقيق الاختيار في موقفه تجاه الادب الواقعي ؟ ام انه دافع بحماس عن جميع الاعمال الادبية الاشتراكية الواقعية على حساب الاسس الفنية ؟ وكي احسن الاجابة على هذه الاسئلة ، فانني الفت النظر الى ما قاله الناقد المعروف محمد النويهي حول هذا الموضوع ، وذلك قبل ان اتناول بالدراسة المفصلة آراء مندور ووجهات نظره حول الشعر الحديث ، والواقعية الاشتراكية في مصر .

لقد اخفق مندور ـ حسب رأي النويهي[19] ـ في ممارسة اى تأثير جوهرى على التطور الحالي في الادب المصرى الحديث .

ويدعي النويهي ان اعمال مندور كانت تسير في طريق مناقض تماما للعوامل التي ادت الى انبثاق الشعر الحديث . كان يترتب على مندور في الاربعينات ان يعمل على تقويض الرومانسية التي طال امدها وحان زوالها ، وذلك كي يسبق غيره في توقع انبثاق الواقعية ، تماما كما فعل العقاد في العشرينات عندما ناوأ التيارات التقليدية ، ممهدا بذلك الطريق امام التيار الرومانسي . وبدلا من ذلك مدح مندور واطرى ـ حسب رأى النويهي ـ على شعر المهجر الرومانسي او ما اسماه بالشعر المهموس ، والذى يعتبره النويهي تشويها وافسادا ، بسبب «الميوعة العاطفية البالغة حد المرض» . ثم غير مندور تعاطفه على نحو غير متوقع تجاه التيار الواقعي ، بعد ان رسخت هذه الحركة كيانها ، دون ان يحاول الحد من التعصب العقائدى المتطرف الذى رافق هذه الحركة خلال العهد الستاليني . ويقول النويهي ان «مأساة مندور» كامنة بتخلفه عن عامل التطور ، وبعدم تأييده للتيارات الادبية الا بعد ان تفقد حيويتها ومنفعتها .

كان مندور يندفع بحافز التحمس من اقصى طرف الى اخر ، وقد وصف النويهي تأييده للشعر الجديد بانه كان «انقلابا نادر المثال في تاريخ نقدنا المعاصر» . ويكرر النويهي شكواه بان فشل مندور ناجم عن انعدام العناصر العلمية في اتجاهه الذى كان معاديا للعلم

١٧ـ « **الشعر المصرى** » ، المجلد الثالث ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ . قارن : « **فن الشعر** » ، القاهرة د٠ت ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

١٨ ـ «**الآداب**» ، كانون الثاني ١٩٦١ ، ص ٣٧ ـ ٤٣ . من مقابلة مع فاروق شوشة .

١٩ـ « الشعر الجديد والنقد » ، « **الآداب** » ، ايار ١٩٦٦ ، ص ١٣ ـ ١٦ ، ١٩٢ ـ ١٩٤ .

الحديث وتطبيق هذا العلم في مجال الدراسات الادبية[٢٠] .

الى هنا ننتهي من استعراض مقال النويهي ، وسنرى بان هذه الاراء لا يمكنها الصمود امام تمحيص دقيق . فاتهام مندور بانه كان مفرطا بتاييده المتحمس للواقعية الاشتراكية ، ومتجاهلا للاسس الادبية الجوهرية ، اتهام يتناقض مع الحقيقة .

اذ ان مندور قد كرر رايه في كتابه «**الادب ومذاهبه**» الذي راى النور في سنة ١٩٥٧ ، بان الشعر لا يمكن ان ينشا بدون القيم الجمالية ، مرددا رايه التالي : « ويا ويل الحياة اذا اقتصر الفن على خدمة الاهداف النفعية»[٢١] وقد اشار مندور في نفس السنة الى الواقعية الاشتراكية، فقال بان هذا التيار كاي تيار جديد اخر ، يبدي تعصبا تجاه التيارات الموجودة الاخرى ، كما حذر من ان استمرار هذا الوضع سيخنق المواهب الادبية بدلا من تعزيزها وتنميتها . وقد فصل مندور نفسه ، من غير ريب ، عن ادباء الجيل القديم الذين هاجموا الشعراء الناشئين بسبب اهدافهم السياسية ، ووافق في نفس الوقت مع الادباء الذين انتقدوا الشعراء الناشئين لتجاهلهم متطلبات الجمال الفني[٢٢] .

وفي سنة ١٩٥٨ هاجم مندور بعنف الادباء الشبان الذين اعتقدوا خطأ بان «الواقعية تيسر لهم مشقة الانتاج الادبي ، وتفتح لهم باب المجد بابخس الاثمان» . واضاف بانه لا بد من التخلص من هذا الخطأ الفادح . كما توصل الى نتيجة تقول بان الدعوة الى الواقعية قد اسيء فهمها . وقد وعد ، على الرغم من ذلك ، بان يواصل تاييده لهذه الدعوة شريطة ان لا يلجأ الكتاب الشباب الى الواقعية قبل اكتساب الخبرة الحياتية ، وممارسة الاساليب الفنية للادب القصصي[٢٣] .

في نفس الوقت زودنا مندور بمقطع يبدد اي شك بالنسبة لموقفه الحقيقي . فمع ان الواقعية قد تسلمت دور القيادة بالنسبة لشكل الشعر المصري المعاصر ، فان التيارات السابقة لم تتوقف عن الحياة ــ على حد قوله . وقد صمدت في مواقفها لانها تمثل نماذج فكرية وشعورية ثابتة تعتمد على ضرورات حياتية ، فالشعر التقليدي لا يزال حيا لانه مستودع لقيم عظيمة ، ولانه يجسد ثقافتنا القومية العميقة الجذور ، ويصون العربية الفصحى ، التي تعتبر قاعدة صلبة بالنسبة للقومية العربية . وعلى الرغم من استناد الواقعية الاشتراكية على نظرية ثورية جديدة فقد كانت ، ومن المحتمل ان تبقى ، عاجزة عن القضاء على تيارات العاطفية الرومانسية الفردية السابقة ، لان هذه الاخيرة تشبع الحاجات الروحية الملحة ، وغير ممكن او مرغوب فيه تجاهل او مقاومة هذه الحاجات ، اذ ان الشاعر سيستهدف دائما منحنا تعبيرا فرديا لافراحه والآمه ، فنتعاطف معه بفضل ما اسماه «مشاركة وجدانية وانسانية» . واشار مندور الى ان الواقعية الاشتراكية في مصر لم تفلح بعد في العثور على اداة فنية لا غنى عنها في اثارة وجذب انتباه القراء .

ودعا مندور الشعراء الشباب الى الامتثال لاصول الادب والفن ، هذه الاصول التي اثبتت نفسها على مر العصور وبرهنت بانها لم تكن مجرد قيود . وقد ذكرهم بان المحتوى الايديولوجي في شعرهم ، مهما كانت ابعاد اصالته ، لن يحول بالضرورة قصيدة رديئة الى قصيدة مستوفية نواحيها الجمالية . وكرر اقتناعه بان الشعر ليس مجرد مجموعة من شعارات صريحة ، بل انه مزيج لمفاهيم وصور مثيرة للعاطفة ، وتقوم فيه الموسيقى بدور خطير وفعال في الاستحواذ على ذهن القارىء . ثم عبر عن ارتياحه لان الشعر التقليدي والرومانسي لا يزالان باقيين الى جانب شعر الواقعية الاشتراكية لان هناك اشياء كثيرة يترتب على هذا الشعر ان يتعلمها من الاساليب القديمة كي يحسن وسائله الفنية[٢٤] .

وخلافا لحملة النويهي ، فان هذه الآراء لا تعتبر باي حال من الاحوال عاملا من عوامل التعصب ، انما على العكس ، فقد كانت بمثابة دعوة للاعتدال موجهة الى ممثلي التيار الجديد . وهي تؤكد ، كما يتضح من تحليلنا هذا ، حق التيارات الاخرى في البقاء . كما تحتوي هذه الآراء على عناصر واضحة للنقد الفني ، متماسكة بصورة وثيقة مع نظرية مندور الادبية .

نصل عند هذا الحد الى النقطة التي يترتب علينا فيها بحث قضية الشعر الجديد . ان تأييد مندور لهذا

٢٠ــ وجه النويهي نفس النقد الى مندور في وقت سابق سنة ١٩٤٩ ، في كتابه «ثقافة الناقد الادبي» ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص٢٨١ــ٢٩٧ .

٢١ــ « **الادب ومذاهبه** » ، ص ١٠٦ ــ ١٠٧ ، ١٥٨ .

٢٢ــ « معركة الادب » ، « **الآداب** » ايار ١٩٥٧ ، ص ١٣ ــ ١٤ .

٢٣ــ « **قضايا جديدة في ادبنا الحديث** » ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٤٢ــ٤٦ .

٢٤ــ «**الشعر المصري بعد شوقي**» ، المجلد الثالث ، ص ٦٩ ، ٧٢ــ٧٤ .

اللون الجديد من الشعر لم يكن نتيجة لانسجام الآراء السياسية والاجتماعية للكثيرين من ممارسي هذا اللون مع آرائه الشخصية فحسب ، انما اتخذ هذا الموقف اعتمادا على اعتبارات ادبية صرفة ، اهمها على الخصوص التقصي للتناسق الفني[٢٥] ٠

اكد مندور ، على غرار جميع الذين يدركون اهمية هذا التجديد ، بان نظم الابيات المستقلة والمتكاملة الانسجام مع بحور الشعر المألوفة ، يتطلب مقدارا كبيرا من المجهود الذاتي الذى يتناقض مع التعبير العفوى للمشاعر والافكار ٠ ان صب التجربة الشعرية المركبة في اطار عروضي مفروض بصرامة من شأنه ان يمنع نقل الادراك الحسي الحي المفعم والصادق ، الـذى تهدف القصيدة الى ايصاله للقارىء ٠ وعلى النقيض من ذلك فان التغييرات في طول الابيات تساعد على التعبير عن «العواطف المتموجة» وتحولات وظلال المشاعر الرقيقة ٠ فالمعاني وقوة التجربة وكثافتها ، هي التي تفرض بنية القصيدة ٠ والابيات ذات الاطوال المتنوعة تزود القصيدة بحركة ايقاعية متارجحة مفعمة بالحياة والمقدرة على الاقناع ، بينما ايقاعية التكرار المنتظم في الابيات المألوفة تملأ الجرس الشعرى برتابة غير محتملة ٠

دعونا نتأمل الان الاتهام الثاني الذي ورد في مقال النويهي المذكور اعلاه ٠ يدعي النويهي ان مندور سخر لفترة ما من اسلوب النظم الشعرى الجديد ، ثم اصبح احد مؤيديه بصورة غير متوقعة ، وذلك قبل ثلاث او اربع سنوات من وفاته في سنة ١٩٦٥ ٠ ان هذا الادعاء عار عن الصحة كليا ٠ اذ ان مندور كان قد اعلن عن موقفه المؤيد للشعر الجديد في مقدمته لمجموعة فوزي العنتيل **«عبير الارض»** التي صدرت سنة ١٩٥٦ ، وهو موقف يعتمد على مقاييسه بالنسبة للكفاءة الشعرية ٠ واضاف بان هذا النوع من الشعر ، الذى يبلغ بفضل صدقه صفة الاسرار المهموسة ، هو ما اسماه مرة بالشعر المهموس الذي يختلف عن الخطابة والنظم الرنان[٢٦] ٠ كما رفض مندور ، في سنة ١٩٥٨ ، مشاركة العقاد في آرائه القائلة بان الشعر العربي الجديد يكاد يخلو تماما من الموسيقى ، وانه يجب معالجته وكأنه نثر ٠ فالتفعيلة الواحدة يمكن ان تشكل الوحدة الموسيقية بدلا من البيت الكامل ٠ وقد قال ايضا بان الاسلوب الجديد هو ليس اسهل من الاسلوب التقليدى باى حال من الاحوال ، فانه يتطلب مقدارا رفيعا من رقة الشعور ، ومقدرة غير عادية على استغلال الطاقة الموسيقية الكامنة في اللغة ٠ وقد اقر ، على اى حال ، بان كثيرا من مدعى نظم الشعر كانوا بعيدين عن تحقيق هذه المتطلبات ، وانهم يستحقون التأنيب بقسوة ، ودعاهم الى «احترام محراب الفن المقدس»[٢٧] ٠

في سنة ١٩٦١ ، عاد مندور الى انتقاد العقاد ثانية بسبب رفضه الشعر الجديد جملة وتفصيلا ٠ وقد اكد ان عددا كبيرا من القصائد التي نظمت حسب الاسلوب الجديد كانت ممتازة في جمالها ، اذ توفر فيها نمط ايقاعي غير ملح ، ونظام فني ٠ واستمر شارحا بان هذا الابتكار كان النتيجة الطبيعية للتغييرات في الظروف الاجتماعية والفكرية في كافة انحاء العالم العربي ٠

واضاف مندور بان العقلية العربية قد تحولت مؤخرا من الوجدان الصافي الى ما اسماه بالوجدان الفكرى ٠ اذ ان الشعر لم يعد بعد لونا من الانشاء الخطابي الذى يلقى في المناسبات العامة ، حيث لا يزال الشكل القديم مناسبا له ٠ وهو يعد الان ليقرأ ويهمس ، وقد اصبح في حالات كثيرة نوعا من الحوار السرى بين ابناء البشر ٠ فالنمط الموسيقي الجديد اكثر ملاءمة لهذا الحوار ، وهو بعيد عن اللجوء الى الخطابة ومقتنع «بالصدق الهامس»[٢٨] ٠

نجد في هذا المقال نفس المفهوم العام للشعر المهموس كما سبق ووجدناه في مقدمة مجموعة العنتيل (سنة ١٩٥٦) ، وقد كان هذا المفهوم واضحا في مقال آخر كتبه مندور سنة ١٩٦١ ، حيث حاول ان يفند فيه حجج الدكتور زكي نجيب محمود ضد الشعر الجديد ٠ مخلصا لايمانه بان البديهة تلعب دورا جوهريا في تفهم الشعر ، برهن مندور بانه يمكن ادراك مزايا الطرق الجديدة للشعر عن طريق التجاوب الشخصي المباشر والذوق الادبي فقط ، وليس عن طريق الاتجاه

٢٥ـ «قضايا جديدة» ، ص ٨٧ و «**المجلة**» ، تشرين ثاني ١٩٦١ ، ص ٦٤ ـ ٦٧ ٠ قارن مقال عز الدين اسماعيل في نفس العدد من «المجلة» ، ص ٦٨ ـ ٧٢ ، والنويهي في «**قضية الشعر الجديد**» ، ص ١١٧ ـ ١٢٠ ، ونازك الملائكة في « **قضايا الشعر المعاصر** » ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٤٥ ـ ٤٨ ، وادونيس ( علي احمد سعيد ) في « **شعر** » ، عدد ١١ ، صيف ١٩٥٩ ، ص ٨٣ ـ ٨٦ ٠ وانظر كتاب الدكتور شموئيل موريه « **حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث** » ، طبعة اولى ، القاهرة ١٩٦٩ ٠

٢٦ـ « **عبير الارض** » ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٨ ، ١٢ ٠
٢٧ـ « **قضايا جديدة** » ، ص ٨٨ ـ ٩١ و ١١٠ ـ ١١٤ ٠
٢٨ـ « الشعر الجديد في نظر النقد الجديد » ، « **الآداب** » ، كانون ثاني ١٩٦١ ، ص ٨ ـ ٩ ٠

الشكلي الذي يعتمد على براهين منطقية واستنتاجية ٠ وقد اكد ان الشعر الجديد يختلف عن الشعر التقليدي ليس بنمطه العروضي فقط بل بصوره واشكاله التعبيرية ايضا ، وهو اكثر تفهما لحياة الناس ، وان مرونة هذا النمط تمكن الشاعر ان يجعل تحولاته العروضية اكثر تجاوبا مع تحولات المشاعر ٠ ويؤكد مندور ثانية بان الشكل الجديد متجانس روحا وطبعا مع الشعر المهموس ، وقد اورد مثالا عليه قصيدة من قصائد عبد الصبور ٠ ويخلص مندور الى ان الشعر الجديد يخلب البابنا بنغمة حلوة «هامسة» لا تتوفر في الشعر التقليدي [٢٩] ٠

وهناك دليل آخر لدعم افتراضي بان مندور عثر على نقاط تشابه كثيرة بين الشعر الجديد ، والشعر المهموس ، الشعر المفضل لديه٠اذ تدور الفكرة المحورية في كتابه «**فن الشعر**»[٣٠] حول الشعر الغنائي الذي يبقى دائما ، على خلاف النثر ، الاداة التي يظل الشعراء يعبرون بواسطتها عن عواطفهم الذاتية ٠ فالواقعية لن تسيطر ابدا على هذا النوع الادبي الذي استثناه سارتر من مبدئه حول الالتزام لهذا السبب بالذات ٠ وتشرح هذه الحقيقة سبب عدم كتابة المسرحيات العصرية شعرا ، باستثناء حالات شاذة قليلة ٠ ان الشعر كقاعدة هو الاداة للوجدان الذاتي ٠ واضاف مندور ان الواقعية في مصر العصرية تستطيع ان تنجح فقط في التوثيق بين الوجدان الذاتي والوجدان الجماعي ٠ وكنتيجة لذلك انساق الشعراء الشباب وراء رغبة جامحة للبحث عن اشكال جديدة والترويج لها ٠ الا ان مندور وجد ان هذا الوجدان الجماعي متوفر في قصيدة «اخي» لنعيمة ، والتي وصفها قائلا بانها «من اروع شعر الوجدان الجماعي في ادبنا العربي المعاصر»[٣١] ٠ ويقتضي ان نتذكر بان مندور كان اورد هذه القصيدة في وقت سابق بعيد كنموذج بارز للشعر المهموس ٠

لقد اصبح الان واضحا بان مندور ، في دعمه وتأييده للشعر الجديد بعد ميله السابق للشعر المهموس ، لم يتحول من نقيض الى آخر ٠ بل على العكس ، فقد رأى في الشعر الجديد تحققا لمثله الاعلى الذي يتمسك به والمتجسد في الشعر المهموس ٠ لقد كتب بدر شاكر السياب ، احد الشعراء العرب الاوائل الذين استخدموا الشكل الشعري الجديد ، في سنة ١٩٥٠ ، ان هناك عاملين اثنين قد حفزاه على ممارسة الشكل الجديد وهما : تأثره من قراءة الشعر الانجليزي ، ودعوة مندور للشعر المهموس [٣٢] ٠ ولا يقوض هذا التصريح آراء النويهي فحسب ، انما يشكل دعما مستقلا لآراء مندور ٠ ففي الاربعينات المبكرة اعجب مندور بقصيدة «اخي» التي اكتشف فيها تجربة انسانية بسيطة ونغمات هامسة[٣٣] ٠ فهو لم يعتبرها ، ولا يمكن اعتبارها في الحقيقة ، كقصيدة من الروماتسية المندحرة، كما ادعى النويهي[٣٤] ٠ بل قد رأى مندور في النغمة الخطابية وفي العاطفية المفرطة ، التي كافح الشعر المهموس المفضل لديه من اجل التخلص منهما ،رأى فيهما المأخذين اللذين اديا الى تدهور الشعر الرومانسي[٣٥] ٠

وقد افتتح مندور مقاله عن الشعر المهموس ، وكأنه يتوقع اعتراضات النويهي ، فأكد بان : «الهمس في الشعر ليس معناه الضعف ، فالشاعر القوي هو الذي يهمس ، فتحس صوته خارجا من اعماق نفسه في نغمات حارة»[٣٦] ٠

وخلاصة القول ، يبدو ان الاسئلة التي طرحتها في مستهل هذه الدراسة ، مع التعليق على المقابلة التي اجريت مع مندور ونشرت في «**الآداب**» سنة ١٩٦١ ، قد اجيب عليها ٠ اذ ان ردوده في تلك المقابلة قد اثبتت انها كانت صادقة ٠ فقد آمن ، بعد مرور حوالي خمس عشرة سنة على نشر مقالته عن الشعر المهموس ، بان انتاج الموهوبين من بين الشعراء الذين مارسوا الشعر الجديد جدير بان يبلغ مستوى بعض القصائد الممتازة التي نظمت سابقا في المهجر الامريكي ٠

لم يكن موقف مندور المتمسك بالجمال الفني مجرد نفاق او مجاملة ، اذ ان تفضيلاته الادبية تتمشى مع نظرية اساسها اعتبارات ادبية محضة ، لم تكن خاضعة ابدا لاعتقادات سياسية ٠

٢٩ـ « **المجلة** » ، تشرين ثاني ١٩٦١ ، ص ٦٤ ـ ٦٧ ٠

٣٠ـ « **فن الشعر** » ، ص ٤٥ ، ٥٣ ـ ٥٦ ، ١١٧ و ٢٠ ٠

٣١ـ نفس المصدر ، ص ١٠٨ ـ ١٥٣ ٠ قارن ص٧٦ ، ٨٤ ٠

٣٢ـ « **اساطير** » ، بغداد ١٩٥٠ ، ص ٥ ٠

٣٣ـ « **في الميزان** » ، ص ٦٩ ـ ٧٥ ٠

٣٤ـ « **الآداب** » ، آذار ١٩٦٦ ، ص ١٩٤ ٠

٣٥ـ « **الادب ومذاهبه** » ، ص ٦٤ ، و « **الشعر المصري** » ، المجلد الثالث ، ص ٤ ٠

٣٦ـ «**في الميزان**» ، ص ٦٩ ، قارن ص ٩٥ ٠

عبد اللطيف عقل

# حوار السقوط والتماثيل

«في القصيدة تحريش اولي ، وصوتان احدهما صـــوت السقوط والثاني صوت التماثل فيه» •

ع•ع•

( ؟ )
« على الليل ننشر صمت المشاوير ، زهوا
وندلج في الطرقات الدماء كان المدى
صامت من قديم الزمـــان •
كان الشحارير ما علمتني الغناء ولا
نعفت في ضميري هوى التـــين ،
كان الشحارير ما علمتنـــي الحنان » •
( ١ )
تخشبت يا سيدي لا تكابر •
كانك ما أزهر اللوز في شفتيك •
كانك ما عـــدت شاعر •
( ٢ )
جرحت السكينة ، ايقظت في القلب هذا
رميـــم المقابـــر •
تلوحين في القـــدس ظلا ،
تطارده الغانيات فلا توقظي في الخلايا
دبيـــب اللظـــى
لا تحـــزني المشـــاعر •
كاني نسيتك ، هذا المدى لا يحب الحصاد ،
وهذي العصافير عقت عطاء البيادر •
وصمتـــي ، !
تلهيت بالخوف ••• ما عاد صوتي يغامر •
( ١ )
تخشبت يا سـيدي لا تحاول •
( ٢ )
تجنيت ، ما ازهر اللوز ، ماتت اريحا ،
وما نضج الموز فيها ، وجفت مشاتل •
وقبل ارتعاش الظهيرة في مقلتيها ،
تحسست في صدرها المر •••
طعم انحـــلال الجدائل ،
واقعيت في الظـــل
ماذا تقول الشحاريـــر ،
ماذا تقول الحقول اذا فوجئت بالمناجل •

تلاحقت بالخوف ، امسكت ذيل السقوط ،
ارتديت انهـدام المنـازل •
وما زلت شهـما •••
أعد التجاعيد في وجه ابني الصغير
واسأل في الصيدليات ان كان فيها دواء
(التهاب المفاصل) •
( ١ )
تخشبت يا سيدي صرت تينـة •
( ٢ )
تظللت بالخوف ، حوصرت في ساحة الموت
من كـــل جانب •
تعريت من ورق التين ، حتى من الجلد ،
امي تحب المتاعـــب •
وتحلم في وهمها ، •• وجه امي حزين ،
واحلام امـــي شواحب •
تقول لجاراتها : ولدي قد يعود
وأقرأ في مقلتيه انتصار المحارب •
وأرجع كفي على المستحيل ،
ووجهي يجوع على حفنة من براءه
وأعرف امي ، تجيد القـراءة •
( ١ )
تخشبت يا سيدى صرت تينـة •
( ٢ )
تعريت في السوق ، لصوا قميصي ،
تعمدت في بركة الخوف ، قريتنا لا تراني •
يموت على بابها الفرس ، يلتاع ،
تنشف فيهـــا الاغاني •
ولكنني ما يئست ، زرعت على عارها ياسمينة
وأوقدت في صدرها نخوة ،
ما اضـــاءت •
وعدت وفي بابها وجه «سلمى» الحزينه
بكيت ـ وصارت دموع المحبين زينه ـ
تعريت في السوق ، لصوا قميصي ،
وأعطيت وشمي لبائعة في المدينة •
واقعيت في الظل ، أجتر وقع الخطى ،
في طريق الجنود يرافقني وجه «سلمى» الحزينة •

# الرمـــاد

## للشاعر التركي اديب جانسوير

ترجمة عزام جملة ، ازمير

### بداية الرماد

أكانت البومة ، لست ادري ، جمعت جناحيها وسكنت
في الفراغ •• سكنت •• جثمت كتمثال •
كيوم سبت ياتي على اوراقك المكتوبة
جرحها القلم من جميع اطرافها
من بعيد •• بعيد جدا
كصخور وليدة مرهقة
طريق مقبرة كصخور فائحة الرائحة •
تعجبت ووقفت كانها منارة بحرية •

لوحت جناحيها وطارت فجاة
عيناها بعينيك عمرا
زهرة اصطناعية كما يهاجم الاجل الرقاب
تتلاشى تنقص كضحكة صفراء
كعودة للماضي فجاة
طارت وتلاشت
وتركت تاريخا بلون الرماد •

### مدخل للرماد

كل شيء رماد
اه •• الرماد في ذلك الزمان شيء اخر
كنت امسك وجهي على ضفاف ذكرياتي الضحلة
رجل قدماه من رماد
حفنة من الرماد كانت بفمي •

كل شيء رماد ، قذر ، مياه ملوثة
انفجرت اثداء الخريف
ترضع من شمعتها سماء وجبال
تسير لسانك ليسوح بلون الصابون
ليدور على بلاد الاحزان بلدا بلدا •
ينحرفون فجاة عن الانتظار
اعلم جيدا ••
اليسوا اصحاب الرؤوس الرمادية •

يحملون شعورهم المتساقطة بايديهم
جميعهم احترقوا •• اصبحوا رمادا •

جميعهم احترقوا •• اصبحوا رمادا
احسبهم قطارا لم يغادره المسافرون
رجالا يلعبون الورق •• اجسادهم عارية
اسنانهم منخورة
مستقبل لن يكون له فائض ماض
لكل واحد قرن واحد فقط ••
حزن وحيرة •• وضعت كملحوظة في ملحق
كان له عين كخوخة مكسوة بالزغب
متى ياتي الزمان كي يرصد في مكان
كان يرى دائما •• دائما فجاة •• حفنة •
من خلال الدخان المهيض رأيت محطات محترقة
جافة •• احدهم كان يحرق عيدانا جافة
يتنفس الصعداء
الامير احمر بريا
الامير ••
لا •• لانه هناك ، هنا ، ثلاثة خمسة جدران
والبومة جمعت جناحيها
وفي الفراغ لم تكن جاثمة لتمثال
مخالبها في الحفر الفارغة
تبرد لاجل المعرفة ما عاشت
لا ترى ما امامها •• لا ترى
حتى ولو وضعت بومة اخرى امامها •
الواضح ان الزمان لا يرى الرماد
الرماد يرفض العفونة
فلا عفن الرماد

اه •• الرماد في كل صوب •• كل صوب •

### مولد الرماد

لم يعطني ما اسقطت امام الباب
ميناؤه جرح اصفر

كان هناك بحار طالها من امتداد يديه
قبعته سوداء فاحمة
نسي في كل ميناء عدة مرات .

يتحدث بحار من اصابعه
الخوف .. عاصفة مدمرة
طيور البحر المتوحشة مفتوحة اقفاصها
عشت ايامي المتعدمة وساعاتي المتلاشية
احيانا يكون لي رأي .. وبعد ذلك رماده
اكثر جمعا
اكثر شمولا
اكثر رماد متى .
كان ميلاد الرماد .. جميع الرماد
لابد .. حسب ما تكلم البحار الافقي .

### سيلان الرماد

يسيل من مظلاته .. من انابيب مائه
من الزجاج من الابواب من ادراج الحرائق
من خصلة احاديث من التسويق ومن ضوضاء السوق
من الصخور ومن نقط الوصول
من حياة هكذا لا نتحدث عنها
من مضخة بنزين بقيت في المؤخرة
من رائحة البنزين الحزينة
من عدم جدارية الجدار
من انعدام العدم من جديد
من طابع عليه نصف وجه
من التصاق ظهر المسيح بالسماء
من صورة باكية لبهلوان
من الاجراس من سوق المزاد
من اشياء لم تولد من رائحة الطلق
من الخوف من الحياة
من الاتي ومن لوازم الجنازة
وهكذا من كل شيء .

### رجال من رماد

كم تعيش الساعة في دكان بائع الاثريات
اذا كان احد عقاربها يعانق احد الجسور
تركض النظرات .. رجال من رماد
من هنا لهناك
للحوم الباردة .. للبيض
للمعلبات والمقدرات
يهاجمون يفرقعون وتنظرون الى ساعاتهم .
يتراكضون الى طاولاتهم
للكؤوس والاقدام
دوري في عقارب الساعة
اصبع يلوح باشارة معطف وقبعة
يزدوج الزحام رويدا رويدا
اعقاب لفافات التبغ واثار احمر الشفاه
وفي قعر الكؤوس ترقص سلافه
وهنا يولد معطف الرماد المبتل
يولد من جديد
كلما جف تذروه الرياح

كل شيء من اجل الرماد .. كل شيء
يتصايح رجال نظراتهم من رماد
وتتكوم البومة كانها تمثال
وتنظر الى الزمان والطريق الذي قطعت
متعبة طريقها مغبر
تفرد جناحيها فتذهب من جديد
تهجر مدينة تعانق الرماد
تضيع في الفراغ
اه .. في كل جانب رماد
كل جانب رماد .

ميشيل حداد

# ثلاث قصائد

## تحية لكاهن الجبل

ذاك الذى ينتظر مؤرخا
يشير الى بصمات السنابك
منقوشة على الصخور الخرساء
اين هي من صهيل المعارك وغبار الدم

الويل لذوى الاهات
للفزعين ينخون العزل
يزحفون خلف صفرة الكرامة

من يقطع النصراويات مرج ابن عامر
الانفاس مبهورة بخدر
واورشليم حين استثارت بالروح
على هيئة حمامة
اغلقت القضية بالتسامح
لكن الجبالى بقين على انتظار
لمن يقطعهن دروب المخاوف

## وداعا

الكف الموشاة بالوعود
ظلت تلوح وتتلاشى
والحكاية بدأت من نهايتها
والمفاتيح التي القينا بها في قاع اليم
لفتت انتباه الاسماك العاشقة
فاخذت تجمع الاصداف الملونة
اطارا للحب البشري
ثم سبحت نحو الشاطىء
لتلقي بمفاتيح قلوبها على الرمال

## لهفة

الصورة التي سبقتك الي
كانت عيونا كبيرة
في أول لقاء خيبت ظني
لكن القليل القليل ، طعمني بك
اطعمني الاشواق

واها للكرمل
يتعالى عن البحر والناس
خشيتي اكثر من ان تطاق
قطوف الدالية ترنو بعينين سوداوين
وانا بلهفاتي
اخطو في شوارع المدينة
والازياء العريضة تضرب ساقي

أواه يا احبائي
اخشى ان اتحرر من اشتياقي اليكم
اخشى ان لا يظل طعم للعمر
عمري هذا ، امضته الرغبات الناعمة
تثير بي الزيادة عما هيات

دعوني ارتق قطوف الدالية
دعوني امرر اصابعي
عبر حنايا الشعر
عبر العينين الهادئتين
الى ان تقتلني العقبات المتراكمة
بين يدينا المتعانقتين .

ادمـون شحـادة

## رؤيا الانبياء الكذبة

ـ ١ ـ

خبات في ليل السماح سماحتي
ودفنت في جوف النهار محبتي
اغمضت عيني كي ارى
كي المس الضوء المشع ٠٠ ولهفتي
في النور ٠٠٠
في الابعاد ، في وسط الدروب
اغمضت عيني كي ارى
لهب الغروب ٠

ـ ٢ ـ

رأيت شاعر الامير يحتضر
وشاعر المقاومـة
سيان فالنفوس لا تعي
سيان والارقام لا تمل ٠
فهللي في وجه من يعلق الوسام في المقل
وزغردي يا فتنة الربيع والزهور
لمانح الحياة في الحياة
لحافر القبور ٠

فالدفتر القديم فارغ الصور
وفارغ الديباجة المحروقة الاطر ٠
اهدى لنا في موسم الدخان والحصاد
آهاتك المغبرة الابعاد
تطعمنا ، تجيعنا
تترك في عقولنا ، روائح المرارة ،
وتبهر الظلام ٠

ـ ٣ ـ

يا صاحب الفصول والمدائن المربعة
يا صاحب الرياض والدفوف والترف ،
في كل عام تنتشي الصدف
في كل عام ٠٠ تحرك الضمائر المفرغة الالوان
دروبنا ٠٠٠ بالوهم او بالنار ،
وحينما ٠٠٠ لا تشبع الجياع
تنام او تفيق في الضياع
تنتظر الغيوم ، والامطار ،
يصادر الغناء من منابع الصفاء ، من معاقل الطيور
ويقتل الانسان في سرور ٠

---

رمزي درويش

## احبك حتى سقوط الزمان

لانك مجبولة من نعاس ونـار
لانك جنسيـة اللون ،
كالوردة الذابـلـة
لانك خائفة كالبروق
لانك باسلة كالظهيره
سأسقط في صمتك المستثار
واخرج من تربـة الكروم
حتى الكؤوس الاخيرة :

احبك حتى سقوط الزمان !

*

ادق التفاصيل اعرفهـا
منذ عـام الخريف
وكانت هدايـاك :
سنبلة مهملـة
وحفنـة طـين

وابريق زيت لصقل السيوف !
وكانت عيونـك حلا
لملحمـة الاسئلة
سألناك : اين اصابعك القاتلة
واين جبينك ٠٠٠ والقافلة ؟
فخـر الى الصمت
عشرون عاما محطم !

*

وهل ينبغي ان يكون الكلام
معـادن
لنفهمهم اننا عاشقان
واننا سنابل كل الحقول
واسماء كل الاماكن
واننا كتبنا على صدأ الفاس
مختصر الملحمـة !

# ميخائيل زوشتشنكو

# الرسالـــة

**قصة روسية ، ترجمها اديب شاكر**

**ميخائيل زوشتشنكو (١٨٩٥ ـ ١٩٥٨)**
ولد في بلتافا سنة ١٨٩٥ · ودرس القانون في جامعة بطرسبرج · أما اعماله فهي مجموعة ضخمة من القصص القصيرة المرحة المؤلة عن حياة السوفيات وذلك في الفترة ما بين ١٩٢٢ ـ ١٩٤٦ ، كما اشتملت على بعض القصص الوطنية ما بين عامي ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ · ومات في عام ١٩٥٨ كواحد من ابرع الكتاب السوفيات واكثرهم شعبية ·

كانت بيلاجيا امرأة امية ، حتى انها لم تكن تعرف كيف توقع اسمها ·

على العكس من زوجها الذى كان عاملا مسؤولا ، والذى رغم كونه شخصا بسيطا وفد من الريف الا انه استطاع بعد خمس سنوات من العيش في المدينة ان يتعلم فيها اشياء كثيرة ·· وليس فقط كيـــف يوقع اسمـه ! ·

وكان ما يخجله كثيرا ان زوجته امية ·· !

قال لها يوما : « يتوجب عليك ـ على الاقل ـ ان تتعلمي كيف توقعين اسمك ·· فان اسمنا هو مـــن السهولة بمكان ·· مقطعين فقط ·· كوتش ـ كين ·· ولكنك لا تستطيعين ·· وهذا امر محير ·· »

ولكنها تكتفي بتحريك يدها ، وتجيب : « لن يورثني هذا اى سوء يا ايفان نيقولا يفتش ·· ثم ان اصابعي لا تتثنى بشكل مناسب ! ·· ولم اتعلـــم من الان فصاعدا ·· وانسخ الحروف ؟! ·· من الافضل ان ندع ذلك للصغار ·· اما انا فسأمضي باقي عمرى هكذا ·· »

كان زوج بيلاجيا رجلا مشغولا ، ولا يستطيع ان يصرف وقتا كافيا على زوجته ·· ولذا كان يكتفي بهز رأسه ·· ثم يتنهد قبل ان يلوذ بالصمت ·

وذات يوم ، احضر ايفان معه الى البيت ·· كتابـــا خاصـــا ·

وقال لزوجته : « هنا يا عزيزتي كتاب يتضمـــــن احدث طريقة لتعلم الابجدية ·· دون معلـــم ·· وسأريك ذلك بنفسي » ·

الا ان بيلاجيا ابتسمت بهدوء ، وتناولت كتـــاب الابجدية ، وخبأته في درج المكتب ·· وهي تقـــول : « دعه يرقد هنا الان ·· فلربما كان ذا نفع يوما ·· لمن سيخلفوننا ! ·· »

وحدث بعد ذلك ، ان جلست الزوجة لبعض عملها ·· فقد كان رداء الزوج يحتاج الى رتق ·· بعد ان بلي كمه ·· فجلست بيلاجيا وتناولت الابرة ، ودفعت يدها تحت الرداء تمهيدا لبدء العمل ··

وفوجئت بان هناك شيء يخشخش ·· !؟

وفكرت : « ربما كانت نقودا ؟! » ··

ولكنها اكتشفت انها ·· رسالة !! ·· ظرف فـي منتهى النظافة والاناقة ·· بحروفه الصغيرة الجميلة ·· وورقه المعطر ! ··

وانكمش قلب الزوجة ! ··

وفكرت : « هل كان زوجها يخدعها طيلة الوقت ؟ ·· هل كان يتبادل رسائل الحب مع سيدات مثقفات ·· ويهزأ بها لانها زوجة غبية ·· امية ؟! » ··

وحدقت في الظرف ·· ثم ســحبت الرسالة ·· ونشرتهــا ··

ولكنها ـ بطبيعة الحال ـ لم تستطع قراءتهـــا والاطلاع على محتوياتها ··

ولاول مرة في حياتها ، شعرت بيلاجيا بالاسف لانها امية ·· لا تستطيع القراءة !

وفكرت : « حتى لو كانت هذه الرسالة لشخص اخر ، فيجب ان تعرف ماذا كتب فيها ·· اذ ربمـــا كان لمضمونها تاثير على مجرى حياتها ·· اذ قد تجد من الافضل لها ان تعود الى الريف وتعمل كالفلاحين ·· »

وشرعت الزوجة تبكي ·· !

وبدأت تتذكر ·· ان زوجها ايفان اخذ في التغير مؤخرا ـ مثل شروعه في الاهتمام بشاربه الانيق ·· وغسل يديه مرارا ·· والاهتمام بأناقته ·· واخذت تنشج ··

ماذا ستفعل الان بالرسالة ؟ ·· انها لا تستطيع ان تقرأها ·· كما ان خجلها يمنعها من عرضها عــلى

( التتمة على ص ٥٠ )

لـو سون

# العــلاج

**قصة صينية ، نقلها الى العربية جميل ارشيد**

في احد ايام فصل الخريف وفي ساعات الصبــاح الباكرة حين تلاشى ضوء القمر ولما تزل الشمس فـي منحدرها مستترة ـ كان الجميع نياما الا عسس الليل ـ انزلق «شوانج» العجوز عن سريره واثار قنديل الزيت المطلي بالشحم الذى القى خيال نور على غرفتــي صالة الشاى ٠

واذا به يسمع صوت امرأة عجوز تسأل : هل انـت ذاهب الان يا ( عزيزى ) وسمع كذلك صوت سعال ٠٠ ثم الى همهمة عندما ثبت ملابسه على جسده ، ومد يده وقـــال :

دعنا نأخـذه٠

وبعد ان اخذ يتحسس تحت وسادته ، احضـرت زوجته رزمة من العملة الفضية فتناولها ووضعها فـي جيبه بغضب ثم ضرب على جيبه مرتين واضاء حافظـة الفانوس واطفأ المصباح ثم اتجه الى الغرفة الداخلية ٠ واذا به يسمع صوت حفيف اشجار وسعال متزايــد وعندما هدأ كل شيء في النهاية نادى بصوت ناعم ٠٠ يا ابني ، الا تريد ان تستيقظ ؟ ان امك سوف تعتني بشؤون الدكان ٠

ولما لم يتلق ردا حسب ان ابنه سوف ينام ثانية ، لذلك انطلق يذرع الدرب ، ولم يستطع ان ير اي شيء من شدة الظلام ، وكان ضياء الفانوس يلازمه حيـث حطت قدمه ، وقد مر على كلاب ، في ارجاء مختلفة غير ان احدا منها لم ينبح ، وكان الطقس باردا ومع ذلك انتعشت روحه كما لو انه رجع الى عهد الصبا ، وقد وهب حياة الشباب وعنفوانه واطال خطوته واتضح له الدرب اكثر فاكثر ، وبانت زرقة السماء على اثرها ٠

والان وقد ارهقه السير ، فقد فوجيء عندما بان امام ناظريه مفترق الطرق وتراجع بضع خطوات الى الوراء ليقف تحت طنف احدى الحوانيت ، وامام بابها المغلق وبعد لحظات بدأ يشعر بقشعريرة ٠٠

آه ٠٠ اى عجوز ٠٠ واى بدين !

ثم تابع سيره ، وقد انفرجت اساريره ، فرأى بعض الرجال يمرون وادار احدهم ظهره لكي يلقي عليه نظرة ومع ذلك لم يستطع التعرف على هويته وكان يتطاير من عينيه الشرر مثل رجل جائع امام مائدة الطعام ، ونظر « شوانج » الى فانوسه فايقن ان الرجـل قد ذهب وتحسس جيبه فكانت الرزمة بداخلها وكان الشارع شبه خال فالتفت هنا وهناك فرأى اناسا غرباء يهيمون في مثنى وثلاث كنفوس ضائقة ، ولما تأملهم مليـــا كفوا عن النظر ٠

ولاحظ بعض الجند يجوبون الدرب على مهل ، وكانت الحلقات البيضاء على بزاتهم بائنة من الامام ومـن الخلف ، وما ان اقتربوا حتى بدت الحوافر الحمراء المظلمة ايضا ، ثم سار بضع خطوات واذا بجمهور يندفع وعليه فان الفرق الصغيرة التي وصلت مبكرة مالـت كلها الى نقطة واحدة وماجت متقدمة ، ولما وصلوا مفترق الطرق انتظموا في مجموعة على شكل نصف دائرة٠

وحول نظره الى ذلك المكان ايضا ، الا انه لم يـر سوى ظهور اولئك الناس يرفعون اعناقهم وكأنهم سيرحلون ، فبدوا اشبه ببطات صادتها ثم تركتها يد انسان مجهـول ٠ وسكن كل شيء ، ثم سمع صوت وسرت حركة بالمشاهدين فاحدثوا ضجة عندما تراجعوا الى الخلف وقد دفعوا به وكانوا على وشك ان يوقعوا به ارضا ٠

وقال احدهم :

اعطني ما معك من اوراق نقدية وسوف اعطيــك البضائع ، ووقف بجانبه رجل متشح بالسواد ذو عينان يكاد يتطاير منهما الشرر ، الامر الذي جعله يحســ بقشعريرة ثم مد له الرجل يده الضخمة ، بينما مسك في يده الثانية رغيف خبز تتقطر منه نقط قرمزية ٠ وفي غفلة من الزمن يتحسس « شوانج » جيبه ، وخاف

من ان يتخلى عن الرزمة لكنه تجاسر ان يأخذ رغيف الخبز ، فعيل صبر الرجل وصرخ :

مم تخاف ؟ لم لا تأخذه ؟ ولما ظل شوانج على تردده انتزع الرجل المتشح بالسواد منه فانوسه ثم نزع حافظته لكي يلف بها رغيف الخبز ، وعاد ودس الفانوس بيد شوانج،وفي الوقت قبض على رزمة الفضة، وقد احسها احساسا سطحيا ، وتركه قائلا : اى عجوز مجنون !

وبدا على « شوانج » انه سمع احدهم يقول : لاى علة يفيد ذلك الرغيف ؟

غير انه لم يجب ، فقد كان عقله مشغولا بالرزمة التي حملها وكأنها الميراث الوحيد ، لبيت قديم ، فلا شيء يهم الان ، لانه كان على وشك ان ينقل هذه الحياة الجديدة الى بيته الخاص ، فيحيي سعادة اكبر • واذا به يتأمل يافطة من الذهب الصدىء كتب عليها « السرادق القديم » •

وعندما وصل « شوانج » الى بيته كانت الصالة قد نظفت وصفوف طاولات الشاى قد لمعت ، ولما يصل اى زبون ، سوى ابنه الذى كان يأكل على طاولة ملاصقة للجدار ، وحبات العرق ترشح من جبهته وكاد رداءه المخطط ان يغرز بعظم عموده الفقرى ، كذلك برزت عظام كتفه على أتمها وكان الرقم ( ٨ ) قد انطبع عليها فانعقد حاجب « شوانج » الذى بدا طبيعيا حينما شاهد ابنه على ذلك الحال فأسرعت زوجته من المطبخ بعينين متزمتتين وعلى شفتيها رجفة ، وقالت : هل ظفرت به ؟

قال : نعم •

ثم دلفا معا الى المطبخ واختفيا برهة من الزمن ، حتى خرجت العجوز وبيدها مدقة من النيلوفر الجاف ففردتها على الطاولة وحل شوانج رغيف الخبز الملطخ بالقرمز من حافظة الفانوس وبدلها بورقة من النيلوفر ، ثم « انهى » شوانج الابن وجبة طعامه الا ان امه صاحت به قائلة :

اجلس بهدوء يا ابني ، لا تأتي الى هنا غير ان اباه القى بالرزمة الخضراء وحافظتي الفانوس الحمراء والبيضاء الى داخل الموقد فاندلعت شعلة سوداء حمراء واخترقت الصالة رائحة غريبة • ووصل رجل احدب وتساءل : اى رائحة طيبة ! ماذا تأكل يا هذا ؟ لقد كان ذلك الاحدب احد اولئك الذين قضوا معظم اوقاتهم في صالات الشاى فكان اول من يقدم وآخر من يغادر ، وكيا الى زاوية الطاولة الملاصقة لجدار الشارع وجلس ، غير انه لم يسمع اى رد على سؤاله فقال : اريد عصيدة ارز محمر !

ولم يسمع اى رد ايضا ثم اسرع « شوانج » وصب له كوبا من الشاى ، ودعت ام شوانج ابنها لكي يتجه الى الغرفة الداخلية ، ثم وضعت كرسيا بوسط الغرفة واجلسته عليه ، واحضرت له رغيف خبز اسود في صحن وقالت بلطف : كله فسوف تتحسن صحتك • وتناول شوانج الابن الرغيف الاسود وتأمل به وقد اعتراه احساس غريب كأنه يمسك زمام حياته في يديه ، ثم فلقه بحذر فارتفعت من القشرة المحترقة ابخرة سوداء وتفرقت ، فلم يبق سوى نصفي رغيف ، ثم أكل ما تبقى وتناس النكهة كليا وامسى الصحن فارغا ، وكان ابوه وامه يقفان باتجاه واحد منه وقد القت عيونهما عليه شيئا وانتزعت منه شيئا آخر وبدا قلبه الصغير بالخفقان اكثر فاكثر ووضع يده على صدره وبدأ يسعل ثانية •

فقالت له امه : خذلك هجعة يا ولدىومن ثم تستريح•

واذا به يسعل حتى نام ، وانتظرت امه حتى اصبح تنفسه طبيعيا فلفته بدون ترو برقعة لحاف •

كانت الصالة تعج بالاشخاص ، وكان « شوانج » العجوز مشغولا بصب الشاى للزبائن من غلاية نحاس كبيرة ، وكانت تحت عينيه هالتا سواد •

وقال رجل عجوز : ماذا بك يا « شوانج » ؟ هل تحس باى سوء ؟

فقال : لا شيء •

ماذا ؟ لا شيء ؟ انني اشعر من ابتسامتك ان هناك شيئا ما ، غير ان العجوز سحب كلامه •

فقال الاحدب : ليس في الامر شيء سوى ان «شوانج» مشغول • واذا كان ابنه •••• وقبل ان ينهي كلامه انفجر رجل ذو فك بارز بالضحك وكان يرتدى قميصا اسود ، غير مزرر وكان يحيط وزره حزاما اسود وما ان دخل حتى صاح بشوانج العجوز هل اخذها ؟ هل من متحف ؟ ليحالفك الحظ ايها العجوز شوانج اذا لم يكن اصغائي للاشياء بسرعة !

واصغى « شوانج » العجوز بابتسامة وهو يمسك باحدى يديه غلاية الشاي وقد مد الاخرى مجيبا وفي الواقع ان جميع الحضور اصغوا باحترام ، ثم خرجت المرأة العجوز تضحك وفي يدها قدح يحتوي على ورق الشاي والزيتون التي سكب عليها شوانج العجوز ماء ساخن للقادم الجديد ·

وقال الرجل ذو الفك البارز : انها علاج مضمون ! وليست كالاشياء الاخرى لكن يجب ان تعرف ان هذا يجلب الدفء في ايام البرد ويقضي على الحرارة في ايام الحر ، حقا ، اننا لا يمكن ان تدبر الامر بدون مساعدة السيد كانج ، وشكرته المرأة العجوز بحرارة ، اي بلسم شاف ، قاتل الحرارة كهذا ، واي قرص يغمس في دم الانسان مثل هذا يستطيع ان يقضي على اى ضعف !

ارتبكت زوجة شوانج قليلا من كلمة « ضعف » وابدت شحوبا غير انها حبست ابتسامة ووجدت لنفسها عذرا كي تغادر المكان وفي تلك الاثناء بقي الرجل المتشح بالسواد متناسيا ، وتابع حديثه بأعلى صوته حتى استيقظ الصبي في الغرفة الداخلية وبدأ يسعل ، فقال : ان هذه ضربة قاصمة لحظ ابنك يا «شوانج» ، وطبيعي أن علته سوف تبرأ تماما ورايهم الى متى سوف تظل عابسا وما أن انهى حديثه حتى تقدم الرجل العجوز الى الرجل المتشح بالسواد ثم اخفض صوته وسال : يا سيد «كانج» ·· لقد سمعت اليوم ان المجرم الذي حكم عليه بالاعدام كان من عائلة هسيا فمن هو ؟ ولماذا أعدم ؟

من ؟ ابن الارملة هسيا ·· أي وغد !

وسمت روح «كانج» حينما لاحظ انهم يراقبون ما يقوله باهتمام فارتعش فكه الاسفل ورفع صوته الى اعلى حد ·

ان الوغد ببساطة لا يريد ان يعيش فليس لي معه اي شيء في هذا الوقت حتى ان الملابس التي نزعت عنه قد اخذها السجان ذي العين الحمراء · حقا ·· لقد كان شوانج العجوز محظوظا وياتي بعده العم الثالث : هسيا ثم ان شوانج وضع في جيبه كل المكافأة والتي كانت خمسا وعشرين من خالص الفضة ولم يبذر قرشا منهن ·

ومشى «شوانج» الابن بمحاذاة حائط الغرفة ويديه على صدره يسعل بلا انقطاع ثم اتجه الى المطبخ مالئا كأسا من الارز البارد ولم يضف اليه الماء وشرع يأكل

وسألته أمه التي كانت تحوم حوله بلطف :

هل تشعر بتحسن ما يا ابني ؟ أما زلت جائعا كما كنت من قبل ؟

فنظر كانج الى شوانج الابن وقال : علاجا مضمونا ثم عاد لكي يخبر الجماعة ان العم هسيا انيق حقا ، فلو لم يوجد شمل العائلة لكان قد أعدم ولكانت قد صودرت املاكهم لكن اه من الفضة فقد كان ذلك الوغد شريرا ! اذ حاول ان يحرض السجان لكي يتمرد !

فأثار قوله أحد الجالسين في العشرين من عمره فعبر عن اشمئزازه قائلا : لا لم تكن هذه فكرته !

انك تعرف ان الرجل ذو العين الحمراء ، حدثه في الخارج لكن في غير تكلف ، اذ قال ان امبراطورية المانشو العظيمة هي ملكنا ، المهم في الامر ان تفكر · هل هذا الحديث يقبله العقل ؟

ان الرجل ذو العين الحمراء يعرف ان له أما في البيت لكنه لم يتصور انها فقيرة الى حد ما كذلك لا يستطيع ان يرهق نفسه في أمور فوق طاقته وهو انسان طيب القلب شديد الغضب ومن ثم فقد يهشم المجنون الشاب رأس النمر لذلك ناوله صفقتين ، ، كذلك يعتبر الرجل ذا العين الحمراء ملاكما وهنا قال الرجل الاحدب جذلا : لذلك كان لا بد ان تؤلمه الصفعتين وقال الرجل العجوز : لا يوجد ما يؤسف في ضرب مثل ذلك الحقير ··

فنظر اليه كانج بشموخ وقال بازدراء : لقد اسأت الفهم للطريقة التي تحدث بها انه يأسف للرجل ذي العين الحمراء !

وتأمل به مستمعوه وقد بدت على عيونهم امارات الشفقة ولم تصدر عنهم اية كلمة ، وفي تلك الاثناء كان «شوانج» الابن قد اتى على قدح من الارز وبدأ العرق يرشح من جبينه بغزارة · وقال الرجل العجوز وكان قد رأى الضوء فجأة الي أبلغ أسفي الى المجنون ذي العين الحمراء لا بد ان يكون مجنونا !

وقال الفتى ابن العشرين : لا بد ان تكون مجنونا ·

وهنا دب النشاط بالزبائن ، وعاد الحوار الى مجاريه وتحت ستار ذلك الحوار اشتدت وطأة السعال على شوانج الابن · فاتجه اليه «كانج» وربت على كتفه قائلا :

علاج مضمون ! لا تسعل بهذا الشكل يا شوانج ! علاج مضمون !

فقال الرجل الاحدب وهو يهز رأسه : اي مجنون !

كانت الارض المتاخمة لجدار المدينة خارج البوابة الغربية في الاصل ارض مشاع والطريق التي تشقها والتي مهدت بالارجل من اجل ايجاد طريق أقصر قد اصبحت حدا طبيعيا والى الجهة اليسرى من الممر ، دفن اولئك الذين حكم عليهم بالاعدام ، أو الذين ماتوا من الاهمال في السجون ٠

وفي الجهة اليمنى كانت تقع قبور الفقراء ٠ وكانت صفوف القبور المدعمة باستحكامات قوية على الجانبين تبدو كأنها ادراج اقيمت من اجل ميلاد احد الاثرياء ٠

وكانت احتفالات الربيع في تلك السنة باردة وبدأت براعم اشجار الصفصاف تتفتح ولم يتضح أمر قبل ان أحضرت زوجة «شوانج» العجوز أربعة صحون وقدح ارز لكي تجلس امام قبر جديد في القطاع الجنوبي وتشرع في البكاء ٠

ولما أحرقت ورقة نقدية بقيت هناك في غيبوبة وكأنها تنتظر شيئا ولكن من تراها تنتظر ؟ هي نفسها لا تعرف وقد هب نسيم على شعرها القصير الذي كان اكثر بياضا عن السنة التي مضت ٠

ومرت امرأة اخرى من نفس الطريق ذات شعر رمادي ترتدي اسمالا بالية ، كانت تحمل في يدها سلة مستديرة مدهونة بورنيس احمر ومعلق بها خيط من ورقة نقدية وسارت بعرج ولما لاحظت زوجة «شوانج» العجوز تجلس على الارض ترددت وطغت على وجهها الشاحب مسحة من الخجل ، وعلى كل فقد قررت ان تمر فوق قبر في القطاع الشمالي حيث ألقت بسلتها على الارض ، وكان موقع ذلك القبر معاكسا للمكان الذي تجلس عنده زوجة «شوانج» العجوز ولم يبعدهن عن بعض سوى ممر ٠٠ وكان أن راقبت زوجة شوانج المرأة الاخرى تخرج اربعة صحون وقدح ارز ووقفت تبكي ثم احرقت ورقة نقدية حتى فكرت لابد ان يكون ابن احد الاشخاص في هذا القبر ايضا وسارت زوجة «شوانج» بضع خطوات طائشة ونظرت الى ما حولها ٠٠ وفجأة بدأت ترتعش وتراجعت الى الوراء وفي عينيها اتساع ورهبة !

والان وقد تخوفت من ان تجعلها الاحزان تفقد رشدها فنهضت وسارت عبر الممر لكي تقول بهدوء : لا تحزني ٠ دعينا نذهب الى البيت ، فحركت المرأة الاخرى رأسها ولم يطرف لها جفن وقالت متمتمة : انظري ! ما هذا ؟

فالتفتت زوجة «شوانج» العجوز الى ما اشارت اليه المرأة الاخرى ، فرأت ان القبر لم يكن قد اكتسى بالعشب وقد ظهرت بعض اللعائق القذرة لكن فوجئت عندما امعنت نظرها ورأت ان على قمة الركام اكليلا من زهور بيضاء وحمراء ٠ وخشيتا ان تعانيا من ضعف في البصر ومع ذلك فقد شاهدتا الزهور البيضاء والحمراء بوضوح وان لم تكن كثيرة ، غير انها كانت موضوعة بشكل دائرة كذلك لم تكن ندية حين ظهرت منظمة تنظيما انيقا ٠

ونظرت زوجة «شوانج» العجوز الى قبر ابنها والى القبور الاخرى ، ومع ذلك فقد كانت بعض الورود الشاحبة منتشرة هنا وهناك ، فأحست فجأة بشيء من الفراغ الذي اجفلت من التعبير عنه ٠ وفي نفس الوقت صعدت المرأة العجوز الى القبر لترى عن قرب وقالت في نفسها ٠٠ ليس للورد جذور ولا يمكن ان تنمو هنا ترى من كان هنا ؟

وفكرت مليا حتى انهمرت من عينيها الدموع وصاحت بأعلى صوتها :

يا ابني ! لقد أساء فهمك الجميع وانك لم تنس ، فهل كان حزنك كبيرا حتى اجترحت هذه المعجزة لكي تجعلني اعرف ؟

ونظرت الى ما حولها ، فلم تر سوى غراب حط على غصن عار وقالت : انني اعرف انهم قتلوك ولكن سيأتي يوم الحساب وسوف توليه السماء عنايتها ٠ فلتغلق عينيك بسلام وان كنت هنا وتستطيع ان تصغي الي فدع ذلك الغراب يطير على قبرك كاشارة !

كان دفء النسيم قد تلاشى والاعشاب الجافة قد تحولت الى اسلاك نحاسية واهتز صوت رفيف في الهواء ثم تلاشى وانطوى واصبح فاقد الحركة ، فوقفتا على العشب الجاف تتأملان بالغراب الذي حط على الغصن العاري واستقر دون حراك ٠ ومر الوقت وتوافد بعض الاشخاص فتية وكهولا لزيارة القبور ، واحست زوجة شوانج انها غير مسؤولة ، وكأن كتلة ثقيلة قد نزعت عن ذهنها ، ولما احست بأنها تريد ان تغادر حثت زميلتها كي تغادر معها : دعينا نذهب ٠

وتنهدت المرأة العجوز وتناولت الارز والصحون مفتحة وبعد لحظة تردد شرعت تسير ببطء وهي تحدث نفسها : ماذا يمكن ان يعني ؟

ولم تخطوا ثلاثين خطوة حتى سمعتا صوت بقرة من خلفهما فنظرتا من حولهما بذهول وشاهدتاالغراب وهو يفرد جناحيه وقد استعد للرحيل ومن ثم حلق في الافق البعيد ٠

اسحاق بار ـ موشيه

# في الواجهـــة

**قصـــــة**

عندما استقر بي الامر في ذلك الركن من الشـــارع كدت أنسى كل شيء • انتهى عهد غريب تمت فيـه ولادتي من لاشيء • افكار متضاربة في رأس أشعث • ثم موسيقى هادئة منسكبة بارتياح وتناسق • ثم الـة حديدية تضغط على الانفاس • كل اجزائنـــا ولـــدت متقطعة وبموجب منطق لا يعرفه الا اصحاب تلك الالـة الكبيرة • كل حلقة من حلقاتنا كانت متباعـــدة عـــن الحلقات الاخرى • كانت هناك اياد عديدة تدير امورنا ونحن مطمئنون الى مصيرنا• عرفنا اننا سنتلاحم ونلتقي كما التقت تلك الافكار المتنازعة المتعددة داخل الرأس الاشعث • وكان صاحب الرأس الاشعث يطل علينا كل يوم وهو ينظر الينا بخوف ووجل • وددت لو انني استطيع محادثته وطمأنته • الا انه كان يدير فينـــا نظرات قلقة وهو مزموم الشفتين • ثم تناولتنا ايـــاد سريعة خبيرة جبرت الكسور والصقت الاجزاء وجمعت الاطراف ونسقت الحواشي • اصبحنا في يوم من الايام اكواما من الاخوان المتناسقين المتساوين • الواحد منا هو الكل • والكل منا هو واحد • يقول احدنا كلمـــة فيسمعه الجميع ويتجاوبون معه •

صاحب الرأس الاشعث لم يكن اكبر خبير في هـــذه الصنعة • فهو قد نجح في مداولته مع بعض الناس • ثم انتقلت اول مجموعة من الاخوان الى هذا الركن مـــن الشارع • وهو كما ترى ركن جميل ، يطوف به الناس اغلب ساعات النهار • وانا اذ اتحدث الان عن نفسي فانني اقصد كل واحد منا • واذا قلت ما اشعر به فانا أعني ان ذلك هو ما يشعر به كل واحد منا • اخوتـي الذين على الرف ، والمجموعة المنسقة بانتظام في المخزن وانا الذي تزخر روحه بالحديث أقبع وراء الواجهـــة الزجاجية واقفا على ساقين نشطين ومتكئا في نفس الوقت على حاجز • أمام قدمي عدد من اخوتي • كلنا فرحون طائشون من البهجة • ثيابنا مهندمة • ألواننا جذابة • ولدنا قبل يوم فقط من رحم الالة الحديدية الجبارة • وقد ولدنا قبل ذلك ولادة غريبة في رأس أشعث تحمله كتفان متخاذلتان احيانا وقويتان احيانا اخرى •

أريد ان اتحدث باسم جميع اخواني على ان يكـــون مفهوما ان ما اقوله عن اي منا انما اقوله نيابة عـــن الجميع وان ما يشعر به أحدنا يشعر به جميعنا • فنحن اغرب واعظم مؤسسة اشتراكية تراها عيون البشـــر • الا ان ليس كل اصحاب الرؤوس يعرفون ذلك •

لدي شعور قوي ان صاحب الرأس الاشعث اخـــذ يدرك ما ادركه انا الان • فهو بعد ان استقر بنا المقام اخذ يذرعنا بنظراته من قريب ثم من بعيد • وقف امام الواجهة الزجاجية واخذ يقارن بيني وبين مخلوقـــات اخرى تقف على ساقيها مثلي وتتكيء الى حاجز خشبـي مثلي • ثم ذهب الى حافة الرصيف ورأسه يزدحـــم بافكار شتى • خيل الي لحظة انه اخذ يشك في ما تراه عيناه • ولكن بعد عدد من الثواني لحظت على وجهـــه ظل ابتسامة سعيدة ولمحت في عينيه ما يشبه بريـــق الهناء • انه ولاشك سكران بعض الشيء • فقد عبر الشارع ووقف على الطرف المقابل للركن الذي انا فيـه واخذ ينظر الي من بعيد ويحاول ان يقرأ على وجهـي ما يراه من أمور ! ثم عاد الى حيث أنا واخذ يحـــادث صاحب المكان ورأيت انا من حيث كنت ان الحديـــث لم يكن صاخبا او مثيرا • فقد كان صاحب المكان يطمئن الرجل بهدوء ويحكي له عن تجاربه السابقة مع امثاله• اما والدي فمع ان له أبناء آخرين لم يولدوا بعـــد ، فقد كان يرقبني وهو يتحادث وكأنني ـ اهرب منه دون موافقته ودون رضاه ••••

كنت انتظر بفارغ الصبر ان يذهب عني • اردت ان اشعر انني مستقل ولي ارادة خاصة بي وكيان لـــي وحدي • لم تعجبني نظراته القلقة الجارحة ولم اعرف سبب شروده • وقد اغضبني بشكل خاص انه كـــان يتصور امامي بوقاحة نادرة المثال انه ابا لآخرين ايضا • وعندما ترك المكان لم اشعر باي ندم ولا باي شوق اليه• كل ما شعرت به انني اريد ان الاعب اناسا اخريـــن وانني اريد ان تمتد الي اياد وافكار جديدة • ثم سهيت عن نفسي مدة واستغرقت في شعور دافيء اغدقـــه على

شعاع الشمس وهو يدخل النافذة الزجاجية التي كنت عندها • وعندما افقت لحالي كان هناك شخص يسأل صاحب المكان :

– جديد ؟

– وصلني الان فقط • قبل لحظات •

– ما عسى ان يكون ؟

– اظنه يتحدث عن بعض ما يحدث للناس • ربما كان مؤثرا وواقعيا •

امتدت الي يد الشاب • وشعرت بفرح طاغ واصبعه تمر على جوانبي وتتحسس اطرافي • اخذني الشاب الى جهة اخرى من المكان ومر بعينيه سريعا على بعض ما في قلبي من أمور • أردت ان اقبقه له ، أردت ان الاطفه ، أردت أن اصرخ بحماس أمام عينيه تماما • ولكن الشاب كان انسانا عمليا • فقد حملني بهدوء ، وقدم الى صاحب المكان فروض الواجب ثم دسني بين ما يحمله في يمناه من صحف واوراق وسار بي مسرعا الى احد المقاهي •

وبينما انا افكر فيما عسى ان يكون صاحب الراس الاشعث يعمل الان ، وقف تجاهي كهل له عينان نفاذتان وهو يحدق في جيراني بنظرات خبيرة • اردت ان انتفض او أقع او ارفرف بجناحي عله يلتفت الي • كنت عديم الصبر الى حد كبير • فقد كان منطقيا انا توقع ان الكهل سيصلني بعينية الا انني استعجلت الامور • اعتقدت وربما كان ذلك خطأمني ،ان واجبهان يراني قبل غيري • الم اولد قبل ساعات معدودة ؟ الست طريفا في هـذا العالم ؟ الا يحق لي ان يعتبرني الناس من احدث واطرف ما يوجد ؟ اليس من الطبيعي ان أملا هذه الواجهـة بالنسبة لكل من يمر بها ؟

وقف الكهل امام صاحب المكان وهو يبتسم بعينيه • ثم رفع يده اليمنى بتحية خفيفة كمن يقدم السلام ويستفهم في نفس الوقت • صاحب المكان كان مشغولا عنه بسجل حساباته الا انه تفرغ بعد ثوان معدودة وقال بدون اكتراث :

– لم ارك امس •

– كنت مسافرا • أصبحت الاسفار تتعبني •

– الاسفار تتعب من هم اكثر منك صحة وشبابا • ومع ذلك اعتقد انك تبلي بلاء حسنا •

– دعك من المظاهر • كل يوم يمضي اقترب فيه نحو الهوة الاكيدة •

– انك تشغل نفسك واوقاتك بامور جليلة كثيرة • شباب اليوم لا يقراون سطرا واحدا • بعضهم يبحث عن متنفس لعقدة نفسية في القراءة • اكثرهم يقرأون قراءة سطحية •

– (بعد صمت) هل من جديد ؟

اشار صاحب المكان اشارة خرساء الي • مد الكهل يده ثم سحبها قبل ان يصلني • دخل في تلك اللحظة شابان وفتاة ، كل على حدة ، واخذوا يتجولون بين الرفوف • انشغل الكهل بالنظر اليهم فلم يصلني بيده بينما انقطعت محادثته مع صاحب المكان •

التفت الكهل مرة اخرى الي • وخيل الي لحظة انه متردد • فكرت فيما عسى ان افعل لكي اقضي على تردده، الا انني فجاة قررت الا حاجة لي باهتمامه • اذا كان يظن انه اكبر سنا واحسن خبرة من ان يمد الي يده فليكن له ذلك • وبينما كنت اتطلع الى الشابين وهما يتهامسان شعرت بيد الكهل تطبق علي • قال لصاحب المحل :

– اتعرف شيئا عنه ؟

– ابدا • صاحبه كان هنا قبل دقائق • شاب ينشر لاول مرة •

– لا اعرف كيف ساتناوله بين اهتماماتي • احاول جاهدا ان اعرف ماذا يعمل الشباب هذه الايام •

– (بسخرية) يكفي ان تنظر اليهم في الشوارع ••

– هناك روح جديدة •

– غير مفهومة •

– ربما كان الخطا منا نحن •

عند تلك اللحظة اقترب مني احد الشابين وهـو يبتسم ابتسامة متطرفة وغريبة • ثم خطفني بسرعة واخذ يدير في وجهي نظرات صاعقة • وبعد لحـظات استقر على فصل ما زلت اذكر كيف ان الراس الاشعث كاد ينوء به •• اما الشابفقد راح يتابع الكلمات بسرعة وهو يتقمص شخصية الفصل وغرامه الشديد • تاكد لدى ان الشاب قد تبناني ، وانه سيطير بي الى بيته ، فهو يبدو في عطلة مدرسية • ويبدو لي ان شيئا من غرام بطل القصة يشبه غرامه هو • رايت الشاب يترددوهو يفحص حافظة نقوده • جائزا جدا انه فقير • فقد اعادني اسفا الى حيث كنت واخذ يقارن بيني وبين جار بعيد يقيم على رف اخر • طال تردده ، ولكن في نهاية الامر عاد الي • كدت اصفق فرحا بجناحي • اخذني الـى صاحب المحل ووضع في يده بعض الاوراق النقدية ثم سار بي سريعا • فرحت جدا لانه فضلني على غيري •

وانا ما زلت في الواجهة . كانت عيناي ترقبان اخوتي الذين يجاورونني والذين غادروا المحل الى جهات اخرى . الكهل يشير الى صاحب المحل اشارة هادئة فيقوم هذا بتسجيل ارقام وكلمات على صفحة تحمل اسمه . ثم جاءت الفتاة وهي تحمل عددا من جيراني ووقفت وهي تقول في خاطرها :

ــ هذه مفاجأة . لماذا لم اره قبلا ؟

رفعت اليها ناظري وانا مسحور بجمالها الغريب رغم نظاراتها الطبية وقلت لها هامسا : كان يجب ان تنظري الي قبل اي احد اخر .

ــ اصبح في يدي ما يكفي . لن استطيع ان اجر احمالا ثقيلة .

ــ انني خفيف الوزن . خفيف الظل . جربي ..

ــ ستقول والدتي انني ابذر اكثر مما يجب . أخي سيسرق مني كل ما اشتريه ولا يعيد الي شيئا .

ــ اسمعي . انني خارج للتومن بطن الالة الحديدية الكبيرة . اليس للجديد لذة ؟ اين الذوق يا انسة ؟ يا حلوة ؟

ــ عندي عشر روايات لم اطالعها بعد .

ــ ليس مثلي ، لو تعرفين صاحب الراس الاشعث . ان له اجنة كثيرة . سبقتهم جميعا الى هنا . يجب ان تعرفي ان عددا من اخوتي قد انتقلوا كل الى مكان . خذيني يا انسة .

ــ فلنر ما بك يا هذا .

وعندما لمستني شعرت بهزة وبلذة لا تغتفر . كانت لها انامل رقيقة رشيقة . ليس من شك انها من عائلة غنية وانها ستعاملني باهتمام .

طالعت الشابة عدة سطور غير محددة في اماكن عديدة ثم تنهدت وحملتني مع جيراني الى صاحب المحل . كدت اطير من الفرح . اود ان تضمني هذا المساء الى صدرها وهي تعيش حادث الغرام الكبير الذي تضمه جوانحي . لا بد ان احصل على راحة كبيرة اذا ما اتكأت وانا مفتوح القلب الى نهديها .. انني انذر بان اعامل نهديها بتقديس واقبلهما بلطف ورقة .

بعد ظهر ذلك اليوم ، وهو اليوم الاول لحياتي حمل صاحب المحل عددا كبيرا من اخواني الى محل اخر . وقبل ان يغلق المحل كان قد حزم اعدادا من اخواني في مجموعات صغيرة وأعدها لوكلائه واصحابه .

شعرت بانني اصبحت جناحين كبيرين يحاولان ان يضمان المدينة كلها وان اخواني الذين سيذهبون الى مدن اخرى سيحملون قلبي معهم واننا سنتصل دائما باسلاك غير مرئية ونتحدث عن كل ما يجري لنا في كل مكان وكأننا في مكان واحد . وقبل ان يغلق صاحب المكان ابوابه علينا وجه الي صاحب المكان نظرة راضية ، ففي اليوم الاول لم يخب ظنه في . الا انه في اللحظات الاخيرة تماما وبينما كانت احاول تذكر جميع اخواني الذين حملهم الناس معهم دخل رجل متجهم الوجه ينظر بتشكك الى كل شيء جديد . كانت له معرفة بصاحب المحل فاذا هو يحاوره هكذا :

ــ قل لي : ما الذي يجعل هذا النتاج الجديد يصل اليك ؟

ــ نفس الشيء الذي دفع الخضار الى دكان الخضار

ــ هناك اشياء قديمة كثيرة هامة .

ــ لايمكن ان يعيش العالم بلا جديد .

ــ ليس كل جديد سائر على الخط الحسن القويم ..

ــ انهم يجربون . جرب أن تقرأ للشبان الجدد

ــ جربت ولم اكن مسرورا . سأشتري هذا .

لم يرد صاحب المحل بشيء . الا انني غضبت لهذه الطريقة في معاملتي .

ظل الرجل يحاور صاحب المحل وانا ادعو الله ان يكون قد نسيني الا انه مد يده فجأة فاخذني .

قلت له بعنف :

ــ آراؤك قبيحة يا هذا ، مثلك يجب الا يمسني .

وكان الرجل شعر بما قلته ، كأنه اراد ان يطلب الصفح فقد اخذ يداعبني وهو يتكلم مع صاحب المحل يريد ان يزيل عني ما اصابني من كمد ونفور . وقال في نفسه :

ــ لعلني مخطيء فيما اقول واظن عن الجديد . انني اكسل من ان استطيع المتابعة . وعلي ان اكون اقل تزمتا .

ــ عليك قبل كل شيء ان تكون خلوقا فلا تهين احدا بهذه الطريقة العلنية المخجلة . انت لا تقوم بانشاء مدرسة فكرية جديدة اذا طالعت كتابا .

ــ لقد قسوت عليك بعض الشيء .

ــ بل قسوت جدا . ان صاحب الراس الاشعث يضربك بقلمه اذا ما فكر فيما فعلته هنا . لا يكاد يفوته

شيء . واذا لم اكن مخطئا ففي ذهنه اشياء كثيرة لن تسر لمطالعتها عن المتزمتين من امثالك .

وبينما انا كذلك شعرت بالفتاة التي اخذتني الى البيت وهي تغالب التعب وانا بين يديها . كانني كنت اعرف ما سيحدث منذ الصباح . فقد اسندتني الى صدرها برفق واغمضت عينيها . استنشقت عبير صدرها بكل جراة وشعرت بحرارة نهديها وانا اضغط بطرفي الاثنين على حلمتي صدرها . لا يهمني هذا الرجل المتجهم ولا اعتبار كبير لما يقوله .

في صباح اليوم التالي مر بي كثيرون . بعضهم لمستني بيديه وبعضهم أدار في باطني عينيه . وبينما كان المحل مزدحما نوعا ما دخل شاب زري الهيئة له عينان واسعتان ولحية لم تمر بها الموسى يومين على الاقل . انتهز الشاب فرصة انشغال صاحب المحل ، وتطلع الى الرواد فوجد كلا منهم عند رف من الرفوف يقلب بين يديه واحدا من جيراني . وفي لحظة سريعة وجدت نفسي في جيبه . وأقول الحق انني سررت بذلك . فقد ادركت ان الشاب مفلس وانه لا قبل له بدفع ثمن ورقة عادية ناهيك بكتاب ! شعرت بضيق يطبق علي وانا في جيبه وبسرور طاغ في نفس الوقت . افظع ما ضايقني ان منديله القذر كان يضيق علي وحدتي في ذلك الجيب المظلم . وبعد لحظات كان الشاب السارق يسير بي الى حديقة عامة ثم يخرج من جيبه بضعة ملاليم اشترى بها كعكة طرية وجلس على مصطبة يغمرها نور الشمس ، ثم انصرف الي بكل ذاته وبكل مشاعره . سررت بحركة انامله . تجاوبت دقات قلبه مع كل كمائن ومخابيء نفسي . كنت اتجاوب معه بسرور وعيناه تسرقان كل حبة من حبات قلبي بسرعة خاطفة . توقف الشاب عند بعض الحوادث واخذ يستعيد القراءة بعينين نفاذتين وبصيرة قوية . وعندما انتهى مني وضعني في جيبه وسار بي الى دار صديق له . وهناك دارت اغرب محادثة سمعتها خلال حياتي القصيرة .

ـ هذا المؤلف يجب ان تقضم الجرذان اذنيه . انه اباحي الفكر يعتقد ان كل فكرة تخطر على باله هي فكرة مشروعة مادام يستطيع ان يحملها في ذهنه .

ـ لم اقرا شيئا منه بعد . وجدت مقالا هاما يمتدحه اليوم ويقول عنه انه اتى بشيء جديد .

ـ هل قالوا «جديد» ؟ انهم يبالغون في التواضع . المنطق يقضي بان يصفوه بجديد الجديد .

ـ انت تثير شهيتي للاطلاع بنفسي .

ـ اذن ادفع لي الثمن حالا وهو لك .

ـ الا تريد ان تحتفظ به ؟

ـ انني احتفظ به هنا (مشيرا الى رأسه بسبابه) . لقد دفعت اخر مليم عندي من اجله واريد ان استرجع ما دفعت .

اعجبتني اكاذيب هذا الشاب . يسرق فيطالع ما يسرقه ثم يريد بيعه . وربما سرق شيئا اخر غدا . وربما اراد ان يعيش على ما يكتسبه من السرقات ، بفكره وببطنه معا .

ـ قل لي : ايمكن وضع افكار جديدة في رواية ؟ الرواية هي وصف لتصرفات الناس . انا لم اجد الناس الا وهم يتصرفون بشكل لا تغير فيه .

ـ بعض الناس يتصرفون بشكل يغاير الجميع . ليست كل عين تستطيع ان تنفذ الى سر الموضوع . هذا الكاتب استطاع النفوذ الى بعض اسرار خطيرة جديدة، وصفه وسرده فيهما جدة متطرفة .

ـ هاته .

ـ ادفع الثمن اولا . نقدا وعدا .

كنت اظن انني مع اخر مفاجئات هذا الشاب السارق ولكنني أخطأت . فقد اضاف الثمن نسبة عالية . خدع زميله حتى في السعر . اما صديقه فقد دفع الثمن راضيا .

وعندما افاقت الشابة الحسناء ذات النظارات الطبية وجهت الي نظرات مشفقة . كانت تعبة جدا . الا ان مفاجاة عمري القصيرة كانت انها وضعتني تحت مخدتها ونامت . وحدث لي عند ذاك شيء غريب . فقد راحت الفتاة تحلم ورحت احلم معها وكأنني جزء منها . سرت معها في ليلة جميلة وهي تحادث شابا حسن الوجه وتقول له :

ـ يجب ان تقرأ هذا الكتاب . لقد اثارني بغرابته وسبب لي تعبا نفسيا رغم انني لم اصل فيه الى منتصفه

وفي تلك اللحظة كنت أسير مع والدي صاحب الراس الاشعث . كان ينظر الي بين يديه ويقول في نفسه :

صدفة غريبة ان استطيع انهاء هذا العمل بهذا الشكل . لم اكن اتصور انني ساصل به الى اي نهاية . هل وصلت الى النهاية بنفسي ام ان النهاية هي التي وصلت بي الى هنا ؟

هز والدي رأسه ثم نساني تماما . ادركت ان انا

**(التتمة على ص ٣٨)**

بار لاغير كفست

# حلم رجل يموت

**مسرحية سويدية ، ترجمها الدكتور ابراهيم حمادة**

« حلم رجل يموت » : هي الحلقة الثانية من « الثلاثية » التي كتبها اديب السويد الكبير بار لاجر كفست للمسرح ·

والثلاثية جميعا ، من فن المسرح التعبيري ، الذى تتخذ فيه الوقائع صورة الحلم ثم ينتفى الترتيب المنطقي للاشياء ويسيطر اللاشعور ، والاسلوب السريع المتلاحق الذى يشبه اسلوب « التلغرافات » ·

وتعتبر الفنون المساعدة ، كالاخراج والديكور واستعمال المؤثرات الصوتية والتكوينات الضوئية ، هي العوامل المؤثرة في صياغة هذه المسرحيات وتقديمها ·

واما المؤلف فحائز على جائزة نوبل في الادب عام ١٩٥١ ، وعضو في الاكاديمية السويدية ·

انه واحد من اعلام المسرح في تلك المنطقة البعيدة عن الاضواء ، التي تشمل بلاد الشمال الاوروبي — والتي نعرف من اعلامها « ابسن » لاننا ترجمنا بعض مسرحياته الهامة ، كما نعرف استرندبرج الذى وصل الى مسارحنا منذ سنوات ··

و « الشرق » تقدم هذه الثلاثية ، مثالا ·· لفن ادبي عالمي لم يصل الى القراء من قبل ··

● **المنظـــر :**

يوجد على طول مقدمة خشبة المسرح شريط ضوئي عرضه ياردتان تقريبا · الشريط ساطع الضوء ، ومصدره كشافات علوية · اما بقية الخشبة فغارقة في الظلام ، فيما عدا المنتصف اذ انه هو الاخر مضاء من اعلى · هناك سرير ابيض من اسرة المستشفيات يرقد عليه رجل عجوز بلا حركة وكانه ميت · يمر بعض الناس في سرعة داخل الشريط الضوئي ، ودائما من اليمن الى اليسار : بعض العمال المحني الظهور ، شبان متانقون ، صعلوك ، غلام يدفع بعربة محملة بعديد من صناديق الكرتون ، صبي جزار يحمل فوق ظهره ثورا مشطورا ، وبعدئذ يمر رجل في حجم الانسان العادى مرتين وفي يده عصا وعلى راسه قبعة عريضة الحواف · مرة ثانية : شبان متانقون منهمكون في محادثة مثيرة ، رجل مشوه القدم يضرب على الارض بصوت عال ، نجار يحمل بابا ، قزم مشوه الخلقة يربط الى وسطه ارغولا ، زنجي يكشر عن اسنان لامعة ، صبية تجر عربة فيها دمية · مرة ثالثة : صبي الجزار ، الرجال المتانقون ، الرجل العملاق ، امراة عجوز لعوب رجل يحمل فوق كتفه شجرة عيد الميلاد المنورة وفي اعلاها نجمة ، رجلان مع جذع شجرة ، ثم يمر بعدهما مباشرة ناظر محطة سكة حديد وهو ينفخ في صفارة ويمد ذراعه ، عجوزان متانقان في ملابسهما الرمادية وقبعتيهما الرمادية ايضا · وبينما هما يتحادثان يواصل نهر الناس مروره كما سبق ، ولكن في بطء هذه المرة وفي تناثر ··

**الرجل الاول** : انه ضعيف ، كما سمعت ·

**الرجل الثاني** : ( يهز رأسه موافقا ) ضعيف جدا ·

**الرجل الاول** : ربما يموت هذه الليلة ·

**الرجل الثاني** : من المحتمل ان يحدث هذا ·

**الرجل الاول** : رجل لطيف ·

**الرجل الثاني** : ( يومىء بالموافقة ) ·

**الرجل الاول** : وطيب القلب ايضا ·

**الرجل الثاني** : آه طيب القلب جدا ·

**الرجل الاول** : ولكن قل لي ، من اين جاء بهذه الفكرة التي تجعله يسير دائما بعصا زرقاء ؟

**الرجل الثاني** : هه ، نزوة — قابلته ذات يوم وفي فمه زهور بنفسج ·

**الرجل الاول** : ها ، ها ، ها ·

**الرجل الثاني** : مجرد نزوة — على كل حال هو رجل لطيف ·

**الرجل الاول** : تمام — ربما كان لينا بعض الشيء · ومهتما بذاته الى حد ما ·

**الرجل الثاني** : فلنفترض هذا ·

( ينصرفان · ويأتي القزم وهو ينفخ في ارغوله لحن اغنية كاملة · ثم يخلع قبعته ويتجه نحو الخشبة)

**القزم** : شكرا ، شكرا · الف شكر · ( ينحني ، ثم ينحني مرة اخرى ، يطوح بارغوله بعيدا في الظلام فيرتطم بالارض قرب السرير ) ملعون ابو جثتك العفنة ·

( يضحك في سخرية وينصرف — ثم يدخل صبي الجزار ، والرجل المشوه القدم ، والعربة المحملة بصناديق الكرتون ، والرجل الذى يحمل شجرة عيد الميلاد ، والرجال المتانقون ، والرجلان مع جذع الشجرة وناظر المحطة وهو يصفر ويمد ذراعه · يأتي رجل عجوز مباشرة من الظلام المحيط بالسرير وينشر اوراق الاشجار الخضراء حيث يعبر الناس ) ·

**الرجل** : هش ·· تش ·· تش

( ينقطع مرور الناس · ثم يعود العجوز الى الظـلام· المسرح الان خال يدخل عامل على عينيه نظارات وعـلى صدره مريلة من الجلد ويحمل نجفة يجلس ويخرج مجموعة اوراق ويأخذ في لف قطع النجفة واحدة وراء الاخرى ، يلتفت العجوز برأسه وهو في سريره قلق ، فيخرج العامل ويدخل العجوزان ( المتأنقان ) ·

**الرجل الاول** : يقولون بانه سيموت في تمام الساعة التاســـعة ·

**الرجل الثاني** : ما اتعسك يا هنري ·

**الرجل الاول** : لا ، انه لم ·

**الرجل الثاني** : ولكن الم تكن هناك امرأة في شبابه في يوم ما ؟

**الرجل الاول** : ها ، حصل هذا كان اسمها اليز · الم تعرفها ؟

**الرجل الثاني** : لا ·

**الرجل الاول** : كانت ممتعة · حقيقة كانت طفلـة صغيرة حلوة ، وسأحكي لك · ( يطقطق بلسانه ) لطيفة ، ورقيقة ، وفاتنة جدا ، وبسيطة للغاية ، نعم كانت كذلك ربما كانت ايضا وقحة بعض الشيء ـ وبالطبع ، أحبها حقا أحبها بجنون · وكانت ملائمـة له تماما ، لانها كانت المرأة التي يهفو اليها طويلا ·

**الرجل الثاني** : أوه ، والان !

**الرجل الاول** : هه ، لم تكن هذه هي الصورة ، فاهـــم !

**الرجل الثاني** : لم تكن ؟ !

**الرجل الاول** : اصبحت شخصا اخر تمام الاختلاف، فاهم ·· لدرجة انك لا تستطيع ان تتعرف عليها · صارت ضخمة وسمينة واشبه برجل ، كانت تنقصها الرشاقة في السير ، فكانت تحدث صوتا مزعجا ، وكان وجهها خشنا ، وصوتها مرتفعا وبذيئا مثل صوت امرأة من نساء السوق · هذه هي الصورة التي تغيرت اليها ، واخذ بالك ـ آه من الطريقة التي كانت تأكل بها ! لماذا لا تستطيع ان تتخيل ذلك ·· لقد كانت تلتهـم اى شيء يمكن ان تجده ، واذا لم تجد شيئا بالمطبـخ لتأكله ، تبدأ في قرص صندوق الحطب · ولكن عندما كانت تشعر بأنها شبعانة الى حد ما تجلس وتأخـذ في تطريز مخدات الكنبة الخضراء او تلصـق كروت الصور على كل الحوائط ، او تضع ازهارا من الورق والحشائش المزخرفة في كل ركن من اركان البيت ، كما تضع قططا صينية فوق الشوفنيرة · اوه ، صحيح، ما كان افسح خيالها ! لم تكن هناك اية حدود ·

**الرجل الثاني** : ( يهز رأسه في ضيق )

**الرجل الاول** : ولكن هنرى لم يفهم ذلك ابدا · وانما ملاه قرفا · واصبح مريضا ومجهدا · كان مهموما تماما من كل هذا · لقد كانت تثيره ـ وبصفة خاصة على ما اتذكر ـ عندما كانت تقف بين الناس ولا تستطيع ان تتوقف عن قضم اظافرها · كان يصيح ويصرخ طول النهار بسببها ولكنه لم يستطع ان يدرك حكمة الله من كل ذلك · عندما اراد الله ان يلخبط اموره بعض الشيء ، فان الامر كله لم يعد بسيطا ـ ومع هذا فانه لم يفهم ابعد من هذا

ما اباسك يا هنري !

**الرجل الثاني** : مسكين هنري ـ ثم ؟

**الرجل الاول** : وبالطبع ، هجرته ، كان هذا واضحا، وتركته جالسا هناك ، خفيفا ظريفا ، وعصاه الزرقاء قائمة بين رجليه ·

**الرجل الثاني** : وحده ؟

الرجل الاول : ( يومىء بالموافقة )

( يدخل عاملان ملطخان بالسواد ، احدهما يحمـــل موقد لحام مشتعلا وينز ازيزا · يرفعان غطاء مثبتا على حفرة في الارض ، ثم ينزل الى داخل الحفرة الرجـل الذى يحمل الموقد · بينما يبقى الاخر في الانتظار )

**الرجل الاول** : ماذا تفعلان هنا ؟

**الرجل الثاني** : هناك عطل في الكابل ، كابـــــل التلغراف · فاهم · رسالة تلغرافية انحشرت هنـــا ولا تستطيع ان تنفلت · ولكننا سنصلح العطل ، تأكد من ذلك · كل شيء سيعود الى ما كان عليه ·

( يسمع العامل الاخر وهو داخل الحفـرة يطـرق شيئا بمطرقة بينما موقد اللحام يئز · ينصرف الرجلان المتأنقان ويدخل شاب يرتدى حلة صيفية جميلة · يبدو سعيدا ومترقبا لشيء يتجه نحو العامل ويرفـع قبعتـــه )

**الشاب** : لا مؤاخذة · انا الرجل الذى يرقد هنا لك وعلى وشك ان يموت · اوه ، بالطبع منذ مدة طويلة عندما كان شابا ، انت عارف ·

**العامل** : ( بلا اكتراث ) آه الامر هكذا ·

**الشاب** : ولكن لم يكن هذا ما اردت ان اقوله ·

اردت فقط ان اسأل عما اذا كنت قد رأيت الانســة اليـــز !

**العامل** : لا اعرف هذه الانسة ..

**الشاب** : لا تعرفها ؟ اوه .. انها ممتعة . ولطيفة جدا ، وبسيطة وجذابة ، انا مهووس بها ، واخذ بالك اصحيح انك لم ترها ؟

**العامل** : لا ، اقسم بحياتي .

**الشاب** : غريبة . اتفقنا على ان نتقابل هنا . لقد وعدتنـــي .

**العامل** : انهن دائما يعدن ، ولكنهن لا يوفين بذلك .

**الشاب** : شيء مخجل ان تتكلم هكذا اني اعرف تماما بانها ستأتي .

( يسير الشاب جيئة وذهابا وهو ينظر حوله . يمر صبي الجزار فيتوقف الشاب قبالته )

**الشاب** : لا مؤاخذة ، الم تــــر اليز الصغيرة ؟ ارأيتهـــا ؟

**صبي الجزار** : ( ينفخ وهو ينوء بما يحمل ) .. اوف .. حتى انت لا استطيع ان اراك .. انا منصرف الى عملي ،صحيح ( يخرج ) .

**الشاب** : ( يواصل سيره وهو قلق وبعد حين تدخل المرأة العجوز الضاحكة فيتكلم الشاب معها ) ايتهـــا السيدة العجوز الم تري صغيرتي اليز ؟

**المرأة** : ( تضع يدها خلف اذنها ) ماذا ؟

**الشاب** : الانسة اليز !

**المرأة** : ماذا تقول ؟

**الشاب** : انا اسأل عما اذا كنت قد رأيت صغيرتي اليـــز .

**المرأة** : ( تمد رأسها اليه ) لا اسمع في سهولة .

**الشاب** : ( ينظر حوله في يأس . الشخصيات التي كانت تمر من قبل تسرع الى اجتياز خشبة المسرح : الصبي بالعربة ، الصعلوك ، الزنجي ، الرجـــل ذو القدم المشوهة ، العازف على الارغول ، الرجل يحمل شجرة عيد الميلاد ، صبي الجزار ، يندفعون في سرعـة وتزداد سرعة تحركهم ) .

**الرجل الاول** : حكمة الله ، فاهم .. حكمة الله .. ( يخـــرج ) .

( يعبر الرجل العملاق المسرح في بطء تخلو خشبـة المسرح الساكنة لمدة طويلة فيما عدا العامل الواقف على الفتحة التي في الارض . يخرج من سكون الظـلام المحيط بالسرير عجوز متأنق اشيب الشعر مهندم الثياب . ملابسه سوداء حتى قبعته . يتمشى بين الامام والخلف . ينظر في ساعته . يتوقف عند العامل . يقف فترة طويلة وهو ينظر الى اسفل ) .

**العجوز** : ألم تحررا بعد هذه الرسالة التلغرافية من العرقلـــة ؟

**العامل** : ( الذى يعمل تحت الارض ) اجـــل ، بالتأكيد .. ستنساب ..

( يسير العجوز اماما وخلفا في بطء تدخـل امرأة بدينة في منتصف العمر في ملابس مبهرجة ، وهـــي تقرض في اظافرها ) .

**العجوز** : ( يهرع اليها ويمسك بيديها ) اليز !. اليز .. ها انت ..

**المرأة** : حسنا ، لماذا كل هذا ؟

**العجوز** : احقيقة انت ؟

**المرأة** : ومن اكون غير ذلك ؟

**العجوز** : عزيزتي !

**المرأة** : ( تصدر نخيرا ، ثم تنزع يديها من يديـه لكي تواصل قرض اظافرها ) .

**العجوز** : اليز ، اليز ، احبك ، احبك !

**المرأة** : ( وهي لا تزال تقرض في اظافرها ) ثم !

**العجوز** : اوه ، الان ارى الامر كله مختلفا . الان ادرك معنى كل ذلك ـ في النهاية !

والان احبك كما انت ـ انت ـ انت

**المرأة** : ( لا تزال تقرض اظافرها في قلق وهمس )

**الرجل** : اليز ، انا راقد هناك على السرير عـــلى وشك ان اموت !

**المرأة** : سمعت حديثا عن شيء من هذا القبيل .

**العجوز** : في تمام الساعة التاسعة يا اليز . الساعة التاسعة بالضبط ( ينظر في ساعته )

**المرأة** : ما اتعسك ايها الطفل !

**العجوز** : ( يتناول يدها مرة اخرى ) احبك يا اليز، احبـك .

**المرأة** : نعم ، اني اسمعك .

**العجوز** : ولكن الا تستطيعين ان تحبيني ايضا ، الا تستطيعين ؟

**المرأة** : بالتأكيد يا عزيزي العجوز لا امانع في هذا.

**العجوز** : احقا ؟ احقا ما تقولين ؟

**المرأة** : بالتأكيد يا سيدى ، بالتأكيد .. هـــــذا صحيح ! ( ثم تسحب يديها بعيدا لكي تعض عـــلى اظافرها ) كويس نحن على وشك ان نبدأ من جديد ، ودعني الان ارى اين افترقنا !

**العجوز** : لا ، لا . كل حياتنا القديمة نسيت . نحن على وشك ان نبدأ حياة جديدة ، حياتنا السابقة انتهت يا اليز !

**المرأة** : اوه ، لا تفعل . لا تحاول ان تتخطى المسالة لا تقفز يا صديقي الان سنبدأ مرة اخرى ونتقاسم كـل شيء كما كنا من قبل ، صح ؟

**العجوز** : نعم يا عزيزتي . لقد اجتمعنا في النهاية ، في النهاية قبل ان اموت .

**المرأة** : والان ، هل تعتقد انه من الممكن ان نعيش هنا في بيتك ؟ هل عندك ادوات ـ اعني ادوات للمطبخ ؟

**العجوز** : نعم عندى ، نعم عندى . ولكن يا اليز .

**المرأة** : لا تقاطعني . ولكن ، على اية حال ، نبدأ غدا.

**العجوز** : ( يشير الى ساعته ) ولكني على وشك ان اموت يا اليز ! وعلى وشك ان اموت ! في تمام الساعة التاسعة ، التاسعة بالضبط .

**المرأة** : لا ، استمع الى الان . ضع هذه الساعـــة جانبا .. يجب ان تجهز الحاجات ، اليس كذلك ؟ كل شيء سيكون مرتبا ومنظما ! صح ؟ ( يضطرب العجوز ، فتصيح مؤكدة ) الا تريد كل شيء مرتبـــا ومنظما ام لا تريد ؟

**العجوز** : اني على وشك ان اموت سأموت .

**المرأة** : ( في تأكيد ) قل لي ، اتريد كل شيء منظما ومرتبا ام لا ؟

**العجوز** : ( يحاول ان يمسك يدها ) اليز .. انا على وشك ان اموت ، اموت ..

( يندفع صبي الجزار ويدفع المرأة بعيدا عن الرجل. ويتوالى بعده الاخرون : الرجل المشوه القدم ، النجار حامل الباب ، الرجل حامل شجرة عيد الميلاد ، المرأة العجوز الضاحكة ، الزنجي ، عازف الارغول الكـــل يسرعون بوحشية وهم يدفعون المرأة معهم )

**العجوز** : اليز ! اليز .. ( الناس يختلطون ببعضهم في عجلة ) اني اموت ( ينسحب الى الظلام . يدخل الرجلان مع جذع الشجرة في تسرع ، كما يركض ناظر المحطة داخلا وهو يصفر صفرة مخيفة طويلة ، ويمـد ذراعه . وفجأة يعم الظلام خشبة المسرح تماما ، فيمـا عدا اشعة منبعثة من الحفرة التي يشتغل فيها العامل صمت سائد ما خلا صوت الموقد المشتعل . لا عابرين. المسرح خال . ثم يدخل العجوزان . الظلام مخيم . الا انهما واضحان بسبب الضوء المنبعث من فتحة الحفرة )

**الرجل الاول** : اعتقد ان العملية انتهت الان .

**الرجل الثاني** : نعم ، بالتأكيد .

**الرجل الاول** : هل الساعة الان التاسعة تماما ؟

**الرجل الثاني** : على وشك ان تكون .

**الرجل الاول** : يا سلام .. لم يعد هناك شيء نقول عنه : ولد طيب القلب ، طيب ومحزون .. ربما كان رخوا بعض الشيء ومهتما بنفسه الى حد ما ، ولكن مثل هذا القلب الطيب ..

**الرجل الثاني** : هذا صحيح تماما .

**الرجل الاول** : ( بعد لحظة ) حسنا..انه لا يستطيع ان يتحكم في الامور هنا . يبدو انه لا يفهمها . وهكذا كان منفصلا عنها تماما . لقد خرجت من نطاقه ، اجل خرجت .

**الرجل الثاني** : ولكن ، ما افزع الموت !

**الرجل الاول** : لن اردد معك ذلك على كل حال ، ينبغي ان يكون الامر تجربة . يخرج العامل من الحفرة وفي يده موقد اللحام المشتعل والذى يلقي ضوءا على وجهي الرجلين ) والان ، ماذا جاء في الرسالة التلغرافية؟

**العامل** : اوه ، لا شيء بالمرة .

**الرجل الاول** : الم يكن فيها شيء ؟

**العامل** : ورد فيها فقط ما يلي : لقد مات طائـــر الكناريا ، ايها الفشاش .

**الرجل الاول** : هكذا .. ولا شيء اكثر من ذلك ـ ماذا يمكن ان يعني هذا ؟

**العامل** : هه ، لا اعرف اولها من اخرها .

**( ينصرف الجميع )**

**« ستار »**

مفيد فوزي

# نزار قباني : لهذا فقط نقلت سريـري الى الشارع

كان سؤالي مباغتا . احسست انه سكين ، اغمـده في قلب الشاعر نزار قباني ، او « ابو توفيق » كما تناديه زوجته الجميلة العراقية « بلقيس » ! اذ سألته ونحن في السيارة قاصدين المعادي نهار يوم مشمس : « في ايامنا هذه ، والوطن العربي يئن بجرحه الكبير ، هل تنبت قصائدك فوق هذه التربة النفسية ؟ » .

وكواحد من ابطال هاملت ، اعتدل وصاح يعلن رأيه وكأنه يلقي اشعاره في امسية شعرية : ان مفهومي للوطن والوطنية تركيبي وبانورامي . وصورة الوطن عندي تتألف كالبناء السيمفوني من ملايين الاشياء ابتداء من حبة المطر الى ورقة الشجر ، الى رغيف الخبز . الى مكاتيب الحب . الى رائحة الكتب ، الى طيارات الورق ، الى حوار الصراصير الليلية . الى المشط المسافر في شعر حبيبتي ، الى سجادة صلاة امي ، الى الزمن المحفور على جبين امي ! » قلت له : لست استفزك ، فانا انقل لك ما يدور في الصدور . بعض الصدور لاكون دقيقا . قال نزار : لست غاضبا . فانا اعلم حجم ما يفكر فيه البعض . لكني على اى حال ، ارى الوطن من هـذه الشرفة الواسعة . واحتضنه واتوحد معه . نحـن نتعامل مع الوطن الجغرافي . وننسى الوطن النفسـي . نتعامل مع المئذنة وننسى المؤذن . ومع الكتاب وننسى الصفحات . ومع الزجاجة وننسى العطر . ومع البحر وننسى المسافرين . ومع الدين وننسى الله . ومع الجنس وننسى المرأة ! انهم يتصورون ان المرأة عنصر مضاد للوطن ، ومتناقض معه ، وبالتالي فان كل كتابة عنها ، او محاولة لدخول عالمها ، وكشف الستائـر عن احزانها وعذاباتها ، ومسح التراب المتراكم على وجهها وجسدها عبر الوف السنين يعتبر عملا ضد الوطن ! . قلت لنزار : حين خرجت علينا بقصيدتك هوامش على دفتر النكسة ، قال البعض ، ركب نزار موجة السياسة .

اشعل نزار سيجارة مصرية ونفث فيها بعنف وقال « كان غضبهم علي عظيما ، لاني تجرأت بعد هزيمـة حزيران عام ١٩٦٧ ، ان ابكي على وطني ، حتـى دموعي الحزيرانية رفضوها . فمن يبكي على صدر حبيبته لا يحق له ان يبكي على صدر وطنه ، ومـن يمارس العشق لا يحق له ان يمارس الثورة » .

**قلت لنزار : اظن ان الاستاذ العقاد قال عنـك يوما ، انك دخلت مخدع المرأة .. ولم تخرج . ولهذا وضعك الناس في زجاجة الحب ، وختموها بالشمع الاحمـر !**

قاطعني الشاعر وقال : الذى يحب امرأة .. يحب وطنا ، والذى يحب وجها جميلا يحب العالم ، اصابعي هي هي ، وصوتي هو هو ، وانا موجود في عيـون الجميلات . كما انا موجود في فوهات البنادق .

● وصلنا المعادي . طوقنا الهدوء . احتضنتنا اشعة الشمس بدفء غامر لم يبق الا ان يتسلل الينا صوت فيروز . لكن فيروز حزينة هذه الايام . عاصي ، زوجها رفيق مشوارها . يتعذب تحت مشارط الاطباء . حوار داخل شغلني ثواني عن نزار ، لكن نزار يرفض ان يخطف اهتمامي شيء . فيعود للكلام ، ويحرضني على استفزازه !

ونحن نجلس في « سي هورس » ، قلت له لماذا حرصت ان تكتب سيرتك الذاتية ؟

**قال نزار بحماس طفولي .. « لاني لا اريد ان ادخل غرفة العمليات ، واسلم جسدي الى مباضع الناقدين . قررت ان اظهر على المسرح بشكلي الطبيعي ووجهـي الطبيعي . واتوجه الى الجمهور مباشرة بغير وسطاء واعلانات حائط وشباك تذاكر . قررت ان استـغني عن خدمات الترجمة والادلة واتجول في مدينة الشعر وحـدي ! »**

قلت لنزار : تكاد تتغنى بانك شاعر . اعرف انـك حاولت الرسم وفشلت . وحاولت الموسيقى ولـم تستطع . الشعر كان احسن وسيلة لابهار الاخرين ! رد نزار وهو يتلذذ بالقهوة المصرية .. ولون الجرسون الاسمر .. يا سيدي ، ان المتنبي مثلا يقف وحده في كفة الميزان ويقف الزمان كله في الكفة الاخرى . يبدو لي المتنبي رجلا لا جنسية له ولا جواز سفر . رجلا يقفز على جبهة العصور كلها . ان « سيف الدولة »

حادث تاريخي ولهذا فهو قابل للموت • اما المتنبي فهو « حادث شعري » خارج سلطة الموت • واذا كان سيف الدولة الحمداني لا يزال يتنفس في ذاكرتنا حتى اليوم • فلان قصائد المتنبي فيه • هي التي جعلت تنفسه ممكنا •

قلت لنزار : هل يقرؤك الناس بفهم • بادراك • هل يعرفون مغزى اهتمامك بالمرأة ام ترى دواوينك في احضان العذارى وتحت وسائد المراهقين •

غضب نزار من التشبيه وقال • كل ما اكتبه عن المرأة ، « تنوير » لها • تحريض لها على التمرد • ومن لا يقرأني بحضارة لا يفهمني • شعري للمرأة لتكون قيمة وتتحول من الشيئية لتكون برقا او ضوءا حتى استخدام كلمة النهد هنا – وقل لزميلتك الطموحة نادية العابد – رمز للصعود والطموح •

**فحين اشبه النهد كالحصان في اشعار خارجة على القانون ، اعرف ان الحصان حيوان جميل ، ولكنه رمز للكبرياء والشموخ وللمروءات جميعا • فالنهد لا دميه مطاط ولا آنية رخامية ، انما عاصفة وثورة وظفر يريد تمزيق الخرافة •**

● دخلت الان فتاة يخاصمها الجمال في صحبة شاب رياضي موفور الصحة وسيم الطلعة • قال نزار دون ان اسأله « قليلات هن النساء اللواتي يضربن على جهاز الرجل العصبي • والجمال ليس شرطا اساسيا • هناك جميلات ، كالتماثيل • وقابلت جميلات ، اذا ما فتحن افواههن للكلام ، شممت رائحة العفن •

قلت لنزار : صف لي المرأة التي تعزف بمهارة على اعصابك ؟

**قال وهو يبدو لي كالممثل الشهير ايف مونتان ، « المرأة التي تريحني لا استريح لها • المرأة التي ترميني على بساط الطمانينة ، لا اطمئن لها • اريد امرأة تحدث شرخا في قشرتي الدماغية وجهازي العصبي بعبارة موجزة : احب المرأة المشكلة •**

داعبت نزار : مدلل انت كثيرا يا عزيزي الشاعر ! قال بغيظ « هذا غير وارد • اني اعيش بحالة طفولة مستمرة • في سلوكي • في تصرفاتي ، في كتابتي • اني اطلب – كالاطفال – الرعاية والحماية والاهتمام • ان مفاتيح شخصيتي هي الطفولة والثورة •• انا منذ اول خطواتي الشعرية – عزيزي مفيد – تجنبت وعاء الغراء ، وتعاملت مع المفردات الموجودة على شفاه الناس • تعاملت مع الكلمات الساخنة الطازجة والمعجونة بلحم الناس واعصابهم ووقائع حياتهم اليومية » عدت اسأل نزار سؤالا شخصيا : لماذا احببت – بلقيس زوجتك ؟ •• ضحك بصوت عال ، لانه لم يتوقع السؤال ، لكنه اجاب :

**– بلقيس يا سيدى تعتبر فني جزءا منها ، وتعتبر مجدى بعض مجدها •• ولا تعتبر الاوراق التي اكتب عليها مزاحمة لها • ولا تحاول اغتيال شعرى لتبقى هي • ولقد انتقلت من امرأة لاخرى ، قبل بلقيس ، بحثا عن فدائية ، تقبل ان تموت على صدرى وعلى صدر الشعر • »**

قال : حين قال عني الناقد الكبير مارون عبود ، انني عمر بن ابي ربيعة هذا العصر ، شعرت بنفضة كبرياء • ومع تقادم السنين ووفرة التجارب ذهبت الارتعاشة وانحسر الغرور انا لا انكر وفرة ما كتبت عن شعر الحب • ولا انكر همومي النسائية • الفرق بيني وبين بقية العشاق ، انهم يحبون في العتمة ، وضمن جدران غرف النوم المغلقة ، اما انا – فلسوء حظي – رسمت عشقي على الورق والصقته على كل الجدران •

**مأساة الفتاة ، انه ملزم كشاعر ، ان ينقل سريره الى الشارع ، ويضع عواطفه تحت تصرف جميع الناس وفي خدمتهم كالتماثيل والارصفة والحدائق العامة •• اصبحت قصائدى وثائق اتهام موقعة بامضائي • وانا بعمل هذا ، كنت شاهد عصرى ولم اكن متطفلا ولا شاهد زور •**

● سحابة شجن تكسو ملامح نزار • يقول لي بصوت فيه حزن : في تاريخ عائلتي حادثة استشهاد مثيرة ، هي خلفية ما اكتب • حادثة استشهاد مثيرة سببها العشق • الشهيدة هي اختي « وصال » قتلت نفسها بكل بساطة وبشاعرية منقطعة النظير • لانها لم تستطع ان تتزوج حبيبها • صورة اختي وهي تموت من اجل الحب • محفورة في لحمي • كانت في ميتتها اجمل من رابعة العدوية واروع من كليوباترا المصرية • حين مشيت في جنازة اختي • وانا في الخامسة عشرة • كان الحب يمشي الى جانبي في الجنازة • يشد على ذراعي ويبكي » • اردت ان اغير الموضوع بسرعة • فقلت لنزار : ادمنت السفر • قال وهو ينزع نفسه من الغيمة • ادمنت دوار ومقاعد البحر حتى صارت سطوح المراكب سريرى ومقاعد الطائرات وطني •

**ومع كل خطوة كنت اخطوها ، كان قلبي يكبر ••**

**(التتمة على ص ٥٠)**

محمود كناعـــــنه

# الادب الشركسي (٢)

## الشعر التاريخي

يبدأ الادب الشركسي المنقول مشافهة منذ العصور القديمة وبالدقة منذ العصر الهليني ثم الرومانـــــي . الا ان ذكـــره في المصادر المكتوبــة بدأ لاول مـــرة في المصادر اليونانية . كذلك فان الادب المحفوظ في ذاكرة هذا الشعب بدأ في نفس هذه الفترة ، وهو ادب مملوء بالاساطير التي تخبرنا بالشيء الكثير عن الاخلاق والعادات وطراز المعيشة في تلك العصور القديمة . وخاصة ما يتحدث منها عن البطولات التي يفاخر بها القوم والتي قام بها ابطالهم ضد الامم والقبائل القديمة الاخرى في حروبهم المتوالية في الجبال العالية والمضائق التي يصعب قطعها . وكذلك منها ما يتحدث عن حفظ العهود والصداقة المتبادلة ، وبساطة العيش ، وصدق الكلمة ، واكرام الضيف ، وحمايته عند رحيله من كل اعتداء طارىء عليه . كذلك افتخروا بالطهارة والخلو من كل غش او فساد خلقي . وحافظوا على شدة الحياء . واحترام الشيوخ والمتقدمين في السن ـ وقد انعكست هذه الحقائق كما قلنا في ادبهم الشعري الذي تناقلوه بالصورة التي ذكرناها . وبرز ايضا في كل قصيدة حماسية قالوها ويظهر ان الشعر عندهم كان يقال في عدة مناسبات ابرزها قبل بدء المعركة حيث يقوم بعض الشعراء ذوي الذكاء الفطري والقدرة الخطابيـــــة الانشاديـــة ، بنظم القصائد والخطب الرنانـــة ، ويلقونها مع بداية او قبل بداية المعركة . ومن ابرز هذه المناسبات نظم الشعر الارتجالي بابيات او مقطوعات قصيرة يلقيها هؤلاء الشعراء ساعة الالتحام بـــين الفريقين مما يساعد على زيادة الحماس . ويظهر ان هناك بعض المناسبات الاخرى ، كما يظهر ايضا ان المحافظة على هذه الاشعار كانت اشبه بواجب مقدس ، ليعرف الاحفاد ما فعل الاجداد وليظل هذا التراث الشعري القديم دافعا ومحمسا نحو اعمال البطولة في تلك الازمان المليئة بالحروب والغزوات . ويظهر ان هذا التراث الشعري القديم واساطير النارت اثرت كثيرا في حفظ مميزات ذلك الشعب وعدم اختلاطه او ذوبانه بغيره من الشعوب . وهذه الحقيقة تشبه الى حد ما محافظة الشعب العبري القديم على مقدساته وتراثه مما جعل ذوبانه بين الامم التي اختلط بها مدى القرون مستحيلا .

وعندما نعود لاعطاء امثلة خاصة ولدراسة هذا الادب بصورة مفصلة نجده يتحدث عن اقدم عصور هـــذا الشعب وعلاقاته مع الامم المختلفة حسب اختـــلاف العصور :

١ ـ من اقدم الاشعار والاغاني تلك الاشعار التي تتحدث عن يوليوس قيصر ، اي منذ القرن الاول ق.م وتلك الاشعار المنقولة تحدثنا عن شخص اسمـــه (سزار) حسب بعض المصادر او الروايات ، واسمه سوسيروقه ـ حسب المصادر الاخرى . ويعرف عادة بلقب كوتسيرخ ومعناه الذي اخرج من بطن امه بعملية شق البطن . وتقول الروايات الاخرى بانه اخرج من بطن صخرة . واسطورة ثالثة تقول انه ثمرة زواج غير شرعي . وهناك بعض الاشعار القديمة الاخرى تقول بان الذي رباه هو الفارس الشركسي المشهور اوسيرمك وتذهب الرواية الشعرية اولا الى امتداح اعمال هذا الرجل (قيصر) كفارس وقد يكون ذلك لغرض امتداح الموطن الشركسي الذي تربى فيه ـ وامتداح التربية العسكرية والفروسية التي تعلمها من البطل (اوسيرميك) الشركسي وبعد ذلك تقول القصة بانه اصبح ملكا او قائدا عظيما ـ وحاول ان يخضع بلاد الشراكسة لحكمه ولكنه فشل في ذلـــك وسخر منه الشراكسة بعد ذلك . وسجل الشعـــر الشركسي كل هذه الاحداث منذ البداية فقال بخصوص قيصر ـ ومديحه ـ في الفترة الاولى ابياتا منها :

**يا سزار ، يا بني سيزار ، ربيبي وحبيبي ،**
**سزار البطل اللامع ـ انت قرة العين**
**قد لفحتك الشمس واسمر وجهك . ولكن عينيك**

**ما زالتا ترميان شررا كوميض البرق**

**ومن لم يعرفك فارسا • فسوف يعرفك حينما**

**تمتطي صهوة جوادك وتصبح بطلا مغوارا •**

وبعد هذا التغني ببطولة الفتى المتدرب على يد البطل الشركسي ننقل القارىء الى اسلوب السخرية الذي يورده الشعر القديم كرد فعل على محاولة سيـــزار الفاشلة لاخضاع الشراكسة لسلطانه :

**انت ايضا يا سزار**

**قد جربت فينا قوة استانك**

**ولكنك لم تفلح •**

٢ – بعد ذلك العصر ومع انتشار الديانة المسيحية ظهرت في هذا الادب الشركسي عدة قصص واحداث – وتاثيرات جديدة خلدها هذا الادب بطريقته المعهودة • وقد اوضحت لنا تلك الاشعار مدى تاثر الشركس في القرون الميلادية الاولى بالديانة المسيحية ومدى حبهم وتقديرهم للاسقف (شخنيق) ، وللصليب وغير ذلك من اثار التأثير المسيحي الروحي :

**ان شخنيق هو حامينا ومربي ضعافنا واطفالنا**

**وهو نور ارسله الله لينقذنا من الظلمات**

**وهو الذي هدانا الى المولى وجعلنا بنصرة في الاعالي**

**وشيد للخالق برجا من الحديد ذا ابواب منالفضة**

**وفيه حلت واستقامت روح الله ذي النور القدسي**

**وترى الملائكة دوما تحوم حول ذلك الشيخ الجليل**

**ويهمسون في اذنيه ويسبحون معه في انفراده**

ويبلغ هذا التقدير والاحترام مداه واعلى مستوياته حين تحدثنا هذه الاشعار عن روح ذلك الاسقـــف فتقول :

**وهو يرفرف بروحه ويرتفع كالطير في الفضاء**

**حتى يمس السحب ويرى الظالمين من تلك الاعالي**

**واما اضلاعه فليست من عظام فانية تبلى**

**بل انها من العاج الخالص يقاوم الدهر والايام •**

٣ – في منتصف القرن الرابع الميلادي تظهر عدة قصص واساطير منها ما يحمل طابعا اقدم من ذلك العصر وتعرف كلها باسم قصص النارت وكلمة نارت تعني الفارس • ولهذا فلا عجب اذا رأينا هـــذه القصص تتحدث عن ماضي ذلك الشعب المرتبط كثيرا بالحروب والفروسية – وهي تتناول في ابحاثها ايضا قصص سويسروق وتتحدث عنه كشخصية اسطورية خيالية – وتدعوه بهذا الاسم الانف الذكر لانه ولد من صخرة ، ولان الكثير من اعماله ليست الا من نسج الخيال القديم • ولهذا فنحن لا ندخل تلك الاسطورة تحت هذه الفقرة الخاصة بالادب التاريخي وانما ننتقل الى بقية القصص الشعرية التاريخية كاشعار الداو وبافسان وهي اشعار تقص لنا قصة حروب وقعت في القرن الرابع الميلادي بين امير الشعب الشركســي (الانت) – وبين ملك القوط وتحدثنا هذه القصص عن قتل ابن امير الشراكسة بافسان – ومعه اخوته السبعة ، وثمانين نبيلا • وبعد ذلك جاءت اختالاولاد هؤلاء وجمعت جثث اخوتها ودفنت هذه الجثث على مقربة من نهر ابتوفو ، ونصبت لهم تمثالا هناك • والقصة كما يظهر صادقة لان الاثار التاريخية الباقية في هضبة كورغان تضم قطعة عالية من الصخر ارتفاعها اربعة اذرع ، ويسميها الشعب هناك تمثال بافسان • اما الاشعار فحفظت لنا بين قصص البطولة القصة وهي رثاء الاخت لاخوتها وهو يشبه الى حد بالغ رثاء الخنساء لاخيها صخر في الادب العربي القديم • ومن اشهر ابيات هذا الرثاء :

**كان شعب الانت كله يدعوه قديسا طاهرا**

**وعندما اشتعلت نار الحروب وبدأت الضرباتتنزل كالصواعق**

**كان القوم يستمدون منه العزم والاطمئنان •**

وعندما تآمر هذه الفتاة بعض شباب الاغريقباقامة نصب تذكاري له تقول في نفسها :

**وما حيلتي اذا كان الصخر الاصم اخر ما تبقى لي سلوانا**

**ولكونه شبيها بالفقيد يجرح قلبي كل ما وقع نظري عليـــه**

**ان شعب الانت لن ينساه ولن يخلع ثوب الحداد •**

ولكي يخلدوا ذكراه اطلق اسم بافسان على نهر التود • والقصيدة او الملحمة الشعرية طويلة وتتحدث عن حروب اخرى شنها الشراكسة على القوط بمساعدة الهون وملكهم اتيلا • وهنالك اشعار اخرى تثبت ايضا محبة وتعاون هذا الشعب مع اتيلا – واسمـــه عندهم اديل • وقد يكون ذلك لان الهون ناصروهم ضد القوط • اما اوضح هذه القصائد التي تتحدث عن

**( التتمة على ص ٣٨ )**

عثمان دراوشة

# الزخرفة في الفن الاسلامي

من ابرز مميزات الفن الاسلامي انه فن زخرفي ، فقد استفاد الفنان المسلم من كل ما وقع عليه نظره من عناصر سواء أكانت نباتية او حيوانية او آدمية او هندسية لتحقيق اهدافه الزخرفية ·

ولكلمة « زخرفة » عدة اصطلاحات كلها تؤدى معنى واحدا مثل الارابيسك « ، والتوريق ، والرقش العربي كما قال جورج مارسيه ، والنقش العربي الخ ·· كل هذه الاصطلاحات تؤدي معنى واحدا وهو تجميل وتزيين وزخرفة فنية رائعة ·

ونرى انه منذ عصر النهضة كان الاختلاف بين الفنانين وباحثي الفن على قدم وساق في تعريف « التوريق » في الفن الاسلامي · فمثلا ارنست هيرتسفلد في مقاله عن « التوريق » اراد ان يثبت ان هذا الفن لا يرتكز على العناصر النباتية فقط كما هو مأخوذ من الاسم « توريق »وانما هو نباتي وهندسي وآدمي وخطي · ولكن أ· ريجل لم يوافق على هذا التعريف وقال ان التوريق هو فن زخرفي اسلامي بصورة خاصة · ويعتمد على العناصر النباتية ، ويحتوي على اوراق الاشجار المرتبطة بصورة مباشرة او غير مباشرة الى فرع، وهذه الاوراق تكون اما مستوية او ملتوية ، حادة ملساء ، او واسعة خشنة ولكنها لا تكون باي حال من الاحوال منفردة وانما مربوطة الى فرع ، مثل اوراق العنب والعناقيد ، وتكون متعلقة بغصن ملتو او لولبي اى ان هذا الغصن لا نهاية له لانك تستطيع ان تضع اوراقا وعناقيد متى اردت وبالصورة التي تريدها ، وذلك لانك غير مقيد · ولا يوجد اى حاجز يمنعك من الاضافة والتطويل ، فالغصن مع الاوراق يكون حلقات مرتبطة مع بعضها البعض ·

ولكن اذا اردنا ان نتحرى الصدق فاننا لا نستطيع ان نقول ان « التوريق » هو فن زخرفي يعتمد على العناصر النباتية فقط وذلك لاننا نجد ان العناصر الاخرى موجودة بصورة شائعة وكثيرة ·

وباستطاعتنا ان نقسم فن الزخرفة الى خمسة فنون وهي :

### ١ ــ فن الزخرفة النباتي :

والتوريق هو الاصطلاح العلمي لهذا الفن ، لان عماد هذا الفن هو العناصر النباتية مثل الاوراق والاغصان والفروع · وبتشابك هذه الاوراق على الفروع التي تنحت او تحفر على الخزف والرخام والخشب تخرج تحفة فنية رائعة · والفنان الاسلامي ابدع في ورقة العنب مع العنقود فالفرع يأتي به بصورة ملتوية وباستطاعته ان يضع اوراقا وعناقيد كما يشاء ومتى يشاء لان الغصن على شكل حلقات كما قلنا · وقد ابدع الفنان المسلم في هذا الفن حتى اصبح علماء الفن يعرفون فن الزخرفة بانه فن نباتي اسلامي ·

### ٢ ــ فن الزخرفة الهندسي :

ويعتمد على الاشكال الهندسية مثل المربعات والمثلثات والمعينات والمستطيلات اى انه يتلاعب في الخطوط ، فباستطاعته رسم مثلث وفوقه مربع وفي الوسط دائرة الخ ···

وكان الفنان المسلم يستعمل هذا الفن في تقسيم القطعة التي يريد ان يزخرفها الى مربعات او اشكال اخرى حتى يملأها بعناصر اخرى مثل اشكال نباتية او آدمية او حيوانية او خطية ·

### ٣ ــ فن الزخرفة الآدمي او الحيواني :

عندما اشرق الاسلام بنوره وقضى على عبادة الاصنام كانت ابرز وسائل العقيدة الجديدة تحطيم هذه الاصنام وازالتها ، وبالرغم من القرآن الكريم لم يرد فيه نص صريح يمنع ممارسة تصوير الكائنات الحية فان بعض الاحاديث النبوية صرحت بان تصوير الكائنات الحية حرام شديد التحريم · ولكن العقيدة الاسلامية لم تحرم عمل الصور اذا كان الغرض منها الزينة او

الزخرفة او الجمال الفني ولذلك نرى الفن الاسلامي مليئا بهذا الفن سواء أكان آدميا او حيوانيا كما تخيل الفنان عندما اراد ٠

**٤ ـ فن الزخرفة الخطي :**

اما هذا النوع فلا يعتمد على رسم صور واشكال وانما على تلاعب في الخط ٠ وهنا ابدع وابرز الفنان الاسلامي فنه ، وطبيعي ان تكون كتابة المصاحف اول الميادين التي عمل فيها الخطاطون والمذهبون ، وقد كانت العناية الفائقة بالخط سببا في تطويره على يد فنانين وخطاطين تفننوا في تجميل حروفه وتقويسها ومدها وزخرفة رؤوسها وذيولها بالاوراق والازهار حتى انفرد الفن الاسلامي من بين فنون العالم اجمع بالخط الزخرفي الذى استعمل في اوسع نطاق وفي جميع المنتجات الفنية ٠

**٥ ـ دمج الفنون مع بعضها البعض :**

لم يكتف الفنان الاسلامي عندما اراد ان يزخرف قطعة بفن من الفنون الاربع التي ذكرناها وانما نراه يدمج اكثر من فن واحد في تحفة فنية واحدة ٠ والسبب في ذلك كما يقول علماء الفن هو الخوف من « الفراغ » او « الجو الفارغ » ٠

واذا تتبعنا الزخرفة منذ العصر الاموي نجد استعمال الرخام المشقوق والفسيفساء لزخرفة الحوائط والسقوف والارضية ٠ كما شاع استعمال الصور الجدارية في موضوعات بها الاشكال الادمية والحيوانية ٠

اما في العصر العباسي فشاع استعمال الاجر بدلا من الحجر وفضلت الزخارف الجصية على الزخارف الحجرية ٠ وهكذا نجد نمطا فنيا جديدا يختلف عن النمط الذى ساد في العصر الاموى ٠ ولاظهار طراز الكتابة لونت الارضية باللون الازرق كما نجد في جامع ابن طولون ( ٨٧٩ م ) ٠

اما في العصر المملوكي فقد استمر ازدهار الزخارف الجصية والخشبية كما ظهرت الكتابة النسخية وسارت جنبا الى جنب مع الكتابة الكوفية ٠ وفي هذا العصر نرى الرخام الملون يلعب دوره في تغشية الحوائط ٠ وفي العصر السلجوقي توسع الاهتمام برسوم الكائنات الحية ٠ واتسع استعمال الفسيفساء الخزفية والقاشاني في تزيين الجدران ، واستعملت الكتابة الكوفية المزهرة وتطور الخط النسخي تطورا كبيرا وبخاصة خلال القرن الثاني عشر ٠

وفي العصر المغولي استمر الاقبال على استعمال الزخارف الجصية البارزة في زخارف القصور والمحاريب ولكن اظهر ما يميز هذا العصر التقدم الكبير في صناعة الخزف ، اما استعمال الرخام في تغشية الحوائط فقد اصبح نادرا ٠

اما في المغرب الاسباني فقد كانت زخارف جصية على العقود ٠ وتنوعت الزخارف واصبح التفنن في زخرفة الشكل شيئا طبيعيا واستعمل كثيرا شعار الاغالبة « لا غالب الا الله » كما استعمل الخط النسخي والكوفي متحدا مع الزخارف الهندسية والنباتية ، وفي قاعة العدل وساحة الاسود بقصر الحمراء في غرناطة ما هو جدير بالتقدير والاعجاب ٠

**المصادر :**


١ ـ ارنست كونيل ، **الفن الاسلامي** ٠

٢ ـ ابو صالح الالفي ، **الفن الاسلامي** ٠

٣ ـ جورج مارسيه ، **الفن الاسلامي** ٠

٤ ـ ارنست هيرتسفلد ، **فن العمارة في مصر** ٠

٥ ـ ماكس بيرشيم ، **المخطوطات العربية** ٠

٦ ـ دافيد رايس ، **الفن الاسلامي** ٠

٧ ـ أ٠ جرابار ، **الزخرفة الاسلامية** ٠

٨ ـ شموئيل تماري ، **المدرسة الاسلامية** ٠

## يعقوب يهوشواع

# صحيفة «الكرمل» (١٩٠٩ – ١٩١٤)

**[الصحافة العربية في البلاد في مطلع القرن الحالي(١٥)]**

يوم بدأت في جمع المواد لهذه الابحاث في السنوات ١٩٣٣ – ١٩٣٦ ، قمت بلقاء بعض من الصحافيين والادباء العرب في البلاد ، كي استمع الى نشاطاتهم في حقل الصحافة . وفي سنة ١٩٣٣ سافرت الى حيفا للقاء **نجيب نصار** ، صاحب صحيفة **«الكرمل»** . وقد كنت اراه احيانا في القدس ، قادما لبعض اشغاله . كان قصير القامة يميل الى البدانة ، يلبس طربوشا مائلا للامام ، كتجار بيروت . وقد قضيت في حيفا يومين في مطبعته وتصفحت مجلدات صحيفة «الكرمل». وكانت المطبعة تتالف من غرفتين صغيرتين وعدة جوارير للحروف ، وفيها يشتغل عاملان ، الى جانب السيدة نصار التي ساعدت زوجها في تحرير صحيفته . وقد فتح نجيب نصار امامي قلبه واخبرني عما يلاقيه من ابناء شعبه الذى لا يقدر ما كان يفعله هو من اجل الشعب الفلسطيني ، ومحاربته للاستيطان اليهودي لسنين طويلة . «لو كنت بينكم» ، قال لي يومها ، «لكنتم تمنحونني حقي من التقدير اكثر من اخوتي العرب» . واخبرني صاحب «الكرمل» ان الدكتور شبلي شميل ، الذى اصدر منذ ١٥ شباط ١٨٨٦ مجلة طبية شهرية ، ولخمس سنوات ، قال له مرة : «انك تخدم امة لو عرفت ان الشتيمة تنفعك لبخلت بها عليك» .

في المجلد الاول لصحيفة «الكرمل» الذى اطلعت عليه في الادارة ، كانت الاعداد الاربعة عشر ناقصة . وحين استفسرت اين يمكنني العثور عليها ، اجبت في مكتبة الشيخ اسعد الشقيري (وهو والد احمد الشقيري) الذى كان اماما للفرقة الرابعة في الحرب الاولى .

من الصعب تحديد تاريخ صدور العدد الاول من هذه الصحيفة ، لكن العدد الخامس عشر صدر في ٢٧ آذار ١٩٠٩ ، ويبدو ان الصحيفة توقفت عن الصدور لفترة ما قبل هذا العدد . وكانت الصحيفة «جريدة الشعب ، يومية سياسية عمرانية فكاهية ، تصدر مؤقتا يوم السبت من كل اسبوع» وذلك في ثماني صفحات . صاحب الصحيفة ومحررها – نجيب نصار، والمدير – ايليا زكا ، الذى ترك الادارة اعتبارا من العدد ٢٥ . وقد زاد حجم الصحيفة اعتبارا من السنة الثانية (٤١ × ٢٧ سم بدلا من ٣٧ × ٢٦ سم) ، وذلك ابتداء من العدد ٤٢ .

اما عن المصاعب التي لاقتها هذه الصحيفة فنجد في افتتاحية العدد ٢٤٦ (السنة ٥ ، ٣ كانون الثاني ١٩١٣) . يقول نجيب نصار انه لخمس سنوات مضت كان قد يئس من امكانية العيش بحرية في ظل النظام التركي ، لذلك قرر الهجرة الى بلاد اخرى . ثم اخذ ينتظر على احر من الجمر حتى يرتب اعماله ويهيىء نفسه للهجرة ، متاسفا على الجهود التي بذلها فيما مضى ، وفيما هو على هذه الحال اعلن الدستور ، فاستقبله اول الامر بالشك لانه لم ير بين الشعب او بين الموظفين اى استعداد لذلك . وبالرغم من هذا فقد جعله مناط آماله وقرر تأييده ، وما اسرع ان انضم الى «المهللين» المعلنين ولاءهم له . وكان نجيب نصار يحترم آراء السير ادوارد غري الذى اعلن عن اعجابه بالثورة التركية التي قامت دون سفك دماء – وقرر نصار بعدها البقاء في البلاد .

× × ×

بدأت الصحيفة بالصدور مرتين اسبوعيا اعتبارا من العدد ٧٥ (٦ آب ١٩١٠) في يومي الثلاثاء والجمعة ، وتوقفت حين نشبت الحرب الاولى . وصدرت بعد الحرب بالعدد ٦٠١ (حيفا ، السبت ٩ شباط ١٩٢٠)، ثم توقفت نهائيا عن الصدور في مطلع الحرب الثانية. ويمكننا الاطلاع على خطة هذه الصحيفة في افتتاحية العدد ١٥ (السنة الاولى ، السبت ٢٧ آذار ١٩٠٩) :

تحولت [الصحيفة] لعهدتنا فكرسناها لخدمة الشعب الذى ذللته الحكومة الظالمة والتي ما زال انصارها يعملون على ضحيته حتى صار يعتقد بنفسه عتالا يحني ظهره صراعا لاثقال الظلم . فالكرمل ستجتهد بتعريفه نسبيته الى حكومته

ومركزه في الهيئة الاجتماعية وستنقل شكاويه من اعوان الاستبداد الى مراجعها الرئيسية ومن اجل هذه الغاية ترسل منها نسخا الى جميع المراجع الايجابية العالية في الآستانة والولاية ومتصرفية القدس وعكا والى جميع الجرائد التركية والعربية المهمة ٠ والكرمل ستنتصر للشعب في كل المطالب العادلة وستعاون رصيفاتها على بيان واجباته نحو الحكومة وواجبات كل فرد منه نحو الآخر ٠

الكرمل لا تتحيز لفريق دون آخر من العثمانيين فسيخدم التاجر والصانع والزارع وكل فئات الشعب على السواء فنرجو منه اقبالا عليها ليقف على مباديها ويعضدها مادة ومعنى على القيام بواجباتها لنحوه ٠ وجعلنا بدل اشتراكها يسيرا حتى يسهل على كل فرد من افراد الشعب الحصول عليها ٠

بمناسبة انحجابها عن القراء مرارا قليلة لاسباب لم يكن في الامكان اجتنابها جعلنا حجمها مضاعفا حتى لا نضيع حقوقا للمشتركين علينا وحتى يلقى فيها القراء ما يشوقهم اليها ٠

كما ذكرنا فقد اشترك ايليا زكا ( «الصحافي الجوال» الذي باع صحيفة «النفير» لكل من اغدق في الثمن ، واصدرها في الاسكندرية ، يافا ، القدس حيفا) في ادارة صحيفة «الكرمل» حتى العدد ٢٥ ، ثم تركها ، فواصل نجيب نصار اصدارها لوحده ٠

لم تجذب الصورة الخارجية للصحيفة اذواق القراء وانظارهم ٠ فالورق الذى طبعت عليه الصحيفة طوال ثلاثين سنة من صدورها يكاد ان يكون من نفس النوع (ويبدو ايضا ان الاحرف لم تتغير) وهي في ذلك لم تستطع ان تباري صحيفة جذابة كصحيفة «فلسطين» مثلا ٠ والاسلوب كذلك كان ركيكا وغير مصقول ٠ يقول المحرر في الافتتاحية التي اقتطفنا منها سابقا :

نعترف بعجزنا عن مباراة الصحافيين وارباب الاقلام في هذه الخدمة الشريفة ولكن رغبتنا الشديدة في الاشتراك فيها تشفع فينا لدى من يقدرون قدر النيات والمقاصد ٠ ونرجو من الافاضل انتقاد هفواتنا ودلنا على زلاتنا لنجتنبها ونستقيم في مناهجها ٠ والله الموفق ٠ الكرمل لا تتعرض للامور الشخصية بمدح ام ذم ولكنها لا تتأخر عن انتقاد كل عمل مضر بالحكومة والشعب ومخالف للقوانين فبناء عليه نرجو من حضرات المكاتبين عدم التعرض للشخصيات وتحقق الاخبار والحوادث قبل كتابتها ٠

× × ×

كتب عن هذه الصحيفة مراسل «ريفو دى موند موسلمان» (الجزء ١٢ ، صفحة ٣٢٤ ، ١٩١٠) ، فقال انها صحيفة ديمقراطية لا تني تدافع في كل مناسبة عن حقوق العمال وعن مبادىء الحرية ، وتحاول جهدها لنشر هذه المبادىء بين طبقات الشعب ٠

ظهرت صحيفة «الكرمل» في اول صدورها مرتين اسبوعيا ، وكان شكلها يشابه الى حد بعيد صحف القدس في تلك الفترة ٠ كانت تفتقر الى تنظيم المواد التي احتوتها ــ وهو شيء صاحب هذه الصحيفة طوال سنوات صدورها الطويلة ٠ لم يكن ثمة مراسلون يعملون فيها ، اللهم سوى «هواة» او «اصدقاء» ينتهزون الفرص لطرح ما في نفوسهم ضد الموظفين او رجال الحكومة ٠ واهتمت الصحيفة كثيرا بما يجرى في المتصرفية وعلقت على ذلك واضافت آراءها ، وحازت الزراعة على قسط وافر من هذا الاهتمام وعولجت شؤون الفلاحين بتعاطف واضح مع همومهم ومشاكلهم ٠ دافعت الصحيفة عن حقوق الشعب ضد تعسف الحكومة العثمانية ، وضد الاستيطان اليهودي ٠ وقد كتب الدكتور نسيم ملول صاحب جريدة «السلام» ان نجيب نصار اشتغل قبل احترافه الصحافة بشؤون الاراضي لذلك فانه قريب من مشاكل الفلاحين ومطلع عليها اطلاعا وافرا ، وله الفضل في بعث روح الوطنية في نفوسهم ٠ ونشير الى ان نجيب نصار قام بترجمة مادة «الصهيونية» من دائرة المعارف اليهودية الى العربية ، وخصص لهذه المادة ستة عشر مقالا ٠ اعتقد ان البلاد «تحتاج الى قادة مخلصين كهرتسل ينكرون ذواتهم في سبيل المصلحة العمومية ٠ وعندنا كثيرون كهرتسل ولكن يعوزهم معرفة قدر نفوسهم ، وشجاعة ادبية ليخطوا الخطوة الاولى» ٠

انتشرت بين الصحف العبرية في تلك الفترة حكايات مختلفة عن الاسباب التي دفعت بنجيب نصار الى اصدار صحيفة عربية لمحاربة اليهود ٠ ففي صحيفة «هاحيروت» (صدرت في القدس في سنوات ما قبل الحرب الاولى ، وحررها حايم بن عطار وابراهيم المالح) يوم ٤ تشرين الثاني ١٩١٠ ، تحت عنوان «الخطر العظيم»

كان [نجيب نصار] «يشوف القضايا» عند موظفي البلدية وما اليها ، وحين بدأت حركة الاستيطان اليهودي شم هذا الحيوان المفترس

رائحة ضحية جديدة ، وحاول جهده كي يكون «وكيل دعاوي» لهذه الحركة . لكن المسؤولين اكتشفوا مخالبه ورفضوا عرض مساعدته ، فما كان منه الا ان ثار واحتفظ بهذا الغضب في قلبه واخذ يفكر بالانتقام . ثم اتى الى حيفا وهناك تعرف على جماعة في سنه وبعد مقاساة طويلة ولدوا صحيفة «الكرمل» ، وكرسوها لمهاجمة حركة الاستيطان .

ثم يضيف المحرر قائلا ان نجيب نصار ليس مؤهلا ليكون محرر صحيفة وكل ما ينشره في صحيفته ما هو الا صدى صوت الشباب المسيحيين الذين يكرهون اليهود دينا وجنسا .

والدكتور نسيم ملول في مقاله «الصحافة العربية» (هشلواح ، الجزء ٣١ ، ١٩١٤ ، ص ٣٦٤) يذكر ان نجيب نصار اشتغل في تجارة الاراضي وباع بهذه الطريقة مئات الدونمات واستفاد من العمولة . ثم انضم الى رشيد الحداد واصدر معه صحيفة «الكرمل» كي يهاجم الاستيطان اليهودي ويمنع العرب عن بيع اراضيهم لليهود . ثم تركه الحداد واسس في بيروت صحيفة «النصير» مدافعا فيها عن هذه الحركة . وهذا الرأي قريب من راى عمر الصالح البرغوثي في نجيب نصار .

حدثني السيد ا. خلفون من حيفا عن اللقاء الذي تم بين مرغليت كالفرسكي ونجيب نصار في سجن دمشق في الحرب الاولى . فقد درج يهود دمشق على الاتيان بالطعام للاسرى اليهود الفلسطينيين الذين كانوا مسجونين هناك بتهمة الدعاية للصهيونية . وكان مرغليت كالفرسكي معروفا بسبب جهوده التي كان يبذلها لاحلال التفاهم بين اليهود والعرب في فلسطين . وكان يعرف نجيب نصار ، صاحب «الكرمل» ، لذلك فقد كان يمنحه نصيبا من الطعام ويعامله بمودة . ويقول السيد خلفون ان نجيب نصار حين غادر السجن قال لكالفرسكي انه يشكره على الوجبات التي اشركه فيها ولكن اياه ان يظن انه بواسطة ذلك قد استطاع ان يغير من موقفه من القضية اليهودية .

ونورد اخيرا قسما من المقالة التي كتبها عمر الصالح البرغوثي ، في صحيفة «مرآة الشرق» (العدد ٥٢٥ ، ٢٢ ايلول ١٩٢٧) وفيها يتعرض الكاتب لفترة ما قبل الحرب في حياة نجيب نصار ، بشكل قريب الى ما كتبه الصحافيون اليهود قبله بسنين :

نزح [نجيب نصار] من حبيبة القطر العربي اللبناني الى حبيبته الثانية الفلسطينية وما اكثر جيوب هذا القطر البائس .

ربي في حضن ابيه فلقنه الرجولية ودربه على الفتوة وبعث به الى المدرسة في القدس فاخذ شهادتها وتعين معلما في احدى مدارسها . ثم شرهت نفسه الى ما هو ابعد مدى من التعليم فصار ترجمانا للسياح فوجد في هذه الصنعة الجديدة لذة في العمل وسعه في المكان فاسترسل لها . ثم هجرها وعكف على معاطاة الزراعة واختلط بقبائل البدو الرحالة وابناء القرى والبوادى فارتاح لتلك المعيشة فكان يقرى ويقري ويضيف ويضاف وكان عنده من الحراثين والمزارعين والقطارين عدد وافر وكان يجمع ويوزع ويجود ويربح كانه منهم فاقتبس لهجتهم الكلامية واقتنى بعض الجياد العربية وتانق في سروجها وعاشر الطبقات المختلفة وتغلغل في معرفة اخلاق الفلاح حتى وصل الى ذريرات دماغه وتقاليده . تعاطى المحاماة فرافع ودافع ونصر الحق ونكس اعلام الباطل .. كان محاميا ثم انصرف من المحاماة الى الحرف الحرة ايضا ، خاض خضم الصحافة وشرع في تاسيس جريدة «الكرمل» فصادف اقبالا على الناس وانتشرت جريدته بسرعة وهي التي نبهت الناس الى الاخطار الصهيونية ، وكيف كان الصهيونيون [يحاولون] اقتطاع فلسطين عن البلاد العربية لتاسيس حكومة يهودية فيها .

... ان اكثر تجار الوطنية اليوم كانوا يهزؤون منه آنذاك . تقلب طول حياته في احضان المهن الحرة اذا لم يصادفه التوفيق في ناحية هجرها الى اخرى حتى استقر في مهمة الصحافة الشريفة فهو لم يعش اتكاليا ولم يترب على طلامي دير الروم ولم ينبت في محيط سافل فعاش موفور الكرامة .

اتهم زمن الحرب بانه عربي فاختفى .. اول من نبه على غرس الاشجار . لغته ركيكة فهي لا تزال منذ صدور اول عدد الكرمل الى يومنا هذا في مستوى واحد .

**(اعد المواد للطبع : انطون شماس)**

## الـــواجهـــة - تتمـــــة

لي يحتل الان كل ما لدى والدي من مشاعر . اردت ان انبهه الى ان صاحب المحل قد قام بصفقة طيبة . اردت ان اقول له ان من حقه ان يطالب بحقوقه وبسرعة . اردت ان احكي له قصة البنت التي رقدت هانئا علـــى نهديها وان اصف له بكل كلمات الشعر التي اعرفها عبير ذلك النهدين ، عله يكتب عن ذلك ايضا ، اردت ان احادثه عن السارق الجريء وعن الرجل المتزمت . ولكن والدي كان مشغولا عني . كان يكتب باقلام غـير مرئية وبحبر سري حوادث اخرى مشتعلة بكل شيء . كان يدمدم في نفسه وهو يرعى مخلوقاته الجديدة .

انا ما زلت انتشر في امكنة كثيرة ، جاء رجال ونساء كثيرون يبحثون عني عند صاحب المكان واصحاب امكنة اخرى . فتيات جميلات . معلمون وعمال ورجال ذوي اعتبار ورأي . سرقني اثنان اخران في مكانين اخرين في فترات متباعدة . باعني بعض من حاز علي للبعض الاخر . الا ان اغرب ما كان يشغلني هو ان رأس والدي ازداد تشعثا وازداد هو ابتعادا عني . خيل الي مرات عديدة انه اخذ يكرهني . احيانا كان يزور المكان في ذلك الركن المزدحم من الشارع قارى بوضوح انه لا يحب التطلع الى ناحيتي . ربما كان يخشاني ، ربما كان يحذر مني كما يخشى ويحذر صاحب المكان . صاحب المكان كان مسرورا الا انه كان يثير الحذر والشكــوك لدى والدي . ربما كان والدي سيعلن انه لا يعرفني ولم تكن له صلة بي . كل شيء محتمل . ولكنني لـــم اتعب من الوقوف عند الواجهة ومن الاتكاء على حاجز خشبي وانا انتظر الناس واحاور نفسي فيمن عسى ان يمد يده الي لياخذني

وذات يوم جميل حدث ما لم يكن منه بد ، فقد ولدت الالة الحديدية الكبيرة ابنا اخر لوالدي ووصل هذا الابن الى المكان الذي انتقلت اليه قبل وقت طويل واستقر مثلي عند الواجهة ، بجواري تماما . ولم استغرب ان يحملني صاحب المكان الى رف قريب وان يضع الابن الجديد مكاني . الم اكن انا جديدا يوما ما ؟ تطلعت الى الابن الجديد وانا احس بدمائي تتجدد في عروقي وبنوع من الاخوة تربطني به رغم ان والدي صاحب الرأس الاشعث لم يعد يتذكرني بالمرة .

---

## الادب الشـــركســـي - تتمـــــة

هذه الناحية فهي هذه المقطوعة التي تؤكد اندفاع فرسان هذا الشعب لتأييد هذا القائد وهي تقول :

**ان نخبة شبابنا وفرساننا تسعى اليك ايها القانص الكبـــير**

**ومن الاعالي والروابي تنحدر الفرسان كالشهب المتساقطة**

**وتتزاحم جموعهم حول اتيلا الملك العظيم**

**واما ضرباتهم التي ينزلونها فصداها كالصواعق .**

وهذا الشعب لم ينس ايضا تاكيد رد الفعل بعد ظلم اتيلا ، والفرح بزوال هذا الطاغية . فقـــال شاعرهم القديم :

**ولما لم ينسنا الله ، شملنا برحمته**

**واعاد الينا جبالنا ووديانا**

**بعد ان ابتعد ورحل عنا فلاله الله .**

وبعد ذلك نرى هذا الشعر الملحمي التاريخي لا يكاد يترك فترة تاريخية او احداثا هامة الا تعرض لها بوصف وتوضيح ، ونعود هنا لنذكر القارىء بـــان الشاعر الشركسي كان ينشأ من تلقاء نفسه بلا تعليم او ثقافة خاصة ، ولكنه كان ذا موهبة فطرية وقدرة فائقة في الخطابة والكلام . فيقول شاعرهم في حروبهم ضد خان الاوار :

**لقد فقدنا كل شيء في هذا اليوم الذي كان شره مستطيرا**

**الجزع يعصر القلوب . وضوضاء المعارك الدامية تطرد النوم**

**ويل للشيوخ والاطفال : فهم حيارى لا مرشد لهم**

**تراهم باحثين عن كمين بعيدا عن اوطانهم التـــي التهمتها النيران**

**يسعون في ديار الغربة عادمي السكينة والاطمئنان**

**ودموعهم تنهمر من مآقيهم سيلان الانهر من منحدر الجبال .**

وتظل هذه الاوصاف والاشعار التاريخية سجلا حتى العصر الحديث وبعد ظهور البارود — فيسجل ذلك شاعرهم بقوله :

**ان الامير جان قديش لا يعرف للهزيمة معنى .**

**بل ينزل الضربات من حوله . ويدفع الاذى عن نفسه اذا اشتد به الحال**

**ويطلق الرصاص بين الجموع**

**ان الامير موك موقوه قد عاش دون ان يعرف معنى الخوف .**

حسن قفيشة

# قصة «الرجل والسيارة» لعبد الرحمن عباد

ينحو الزميل «عباد» في هذه القصة منحى نجيب محفوظ في قصصه الرمزية الحديثة من أمثال «شهر العسل» و «تحقيق» و «وليد العناء» التي نشرت مع دراسات لها في «مجلة الشرق» ·

وطريقة نجيب محفوظ – في الرمز – المشار اليها هي قص احداث تبدو في مجموعها واقعية عادية ومقصودة بذاتها بينما هي في الحقيقة ترمز لاحداث اخرى ذات خطر وأهمية تدعوان لتغليفها ذلك التغليف الماكر · ولكون القصة خادعة بقوة حبك احداثها الظاهرية فانه يعمد الى نصب وبث التلميحات والايماءات الذكية ليلفت انتباه القارىء النبيه الى المغزى المراد والقصد البعيد · وحيث لامحل الان لمزيد بيان نخلص الى القصة التي نحن بصددها «الرجل والسيارة» · وحتى نتبين منحى «عباد» فيها وكونه ينهج منهج نجيب محفوظ اذكر القارىء بالقصة اولا :

تجاوزا لقوانين المرور تقذف السيارة بالرجل من ممر المشاة الى الرصيف · يهرع ضابط الشرطة للتحقيق ويحضر طبيب الصحة · يقرر المحقق – زورا – مسؤولية الرجل لالقائه بنفسه على السيارة · ويهمل الطبيب معالجة الرجل بل يوشك ان يجهز عليه هذا فضلا عن ان الناس يدلون بشهادات كاذبة لصالح السائق وتدين الرجل · حتى اقارب الرجل واخوته يتامرون عليه مع المحقق · ولم ذلك ؟ لان الرجل متزوج من اخت المحقق ويراد لها ان تتزوج من ابن خالتها المخطوبه له منذ ولادتها ·

يحاول القاص – كشاهد للاحداث – ان يفضح الحقيقة فيفشل ، يرشق زجاج سيارة المحقق ويشتبك معه فيلقى به في الزنزانة عشرين عاما · ويطلق سراحة بعدها ليجد الرجل لازال مطروحا في مكانه ينتظر سيارة الاسعاف ويجد الى جانبه ثلاثة من اخوته وقد ضربتهم السيارة نفسها · ويسال القاص عن مصير زوجة الرجل فيعلم انها «تزوجت بابن خالتها واعطت كل اموالها واموال رجلها للزوج الجديد وهي تقول انها في السف خير» ·

هذا موجز القصة فما الذي اراده القاص منها ؟

اكبر ظني انه يرمز بها الى ماساة فلسطين : احتل اليهود (السائق) فلسطين (زوجة الرجل) من اهلها العرب (الرجل) بالاتفاق مع الاستعمار (ضابط الشرطة المحقق) وهيئة الامم (طبيب الصحة) والحكومات العربية الشقيقة (اخوة الرجل) حتى اذا مضى عشرون عاما احتل اليهود (السائق) اجزاء اخرى هي الضفة الغربية والجولان وسيناء (الاخوة الثلاثة) ·

وبروز الاثر الذي تتركه ؟

في رايي ان القصة تفتقر الى متانة الحبك لاغناء عنصر الواقعية وتحقيق الاثر النفسي الذي هو بمثابة الهدف للعمل الادبي المكتمل ، وللبيان يمكن ملاحظة ما يلي :

أ– لم يعرض حادث اصابة السيارة للرجل عرضا واقعيا · فاي سيارة «تسير بسرعة ليست معقولة» تتمكن من اصابة رجل بعينه اثناء قطعه الشارع والرجل كما قال القاص «كان **منتبها جدا** · وقد شاهدته بعيني وهو **يلتفت ذات اليمين وذات الشمال** الا ان السيارة **اندفعت** نحوه ثم رمته بعيدا عن الرصيف» !؟ ثم ما لهذه السيارة تندفع هل كانت متوقفه فاندفعت ام كانت اصلا «تسير بسرعة ليست معقولة» ؟

ب– ورد في نهاية النصف الاول من القصة ما نصه «خلال هذا الحديث **عبرت** سيارة طبيب الصحة ولما شاهد سيادته جموع الشعب توقف ثم نزل من سيارته يستفسر عن الحادثه · وهنا بدأ الناس يدلون بشهاداتهم» يعني ذلك ان الطبيب خالي الذهن تجاه الحادث وان حضوره عفوي غير مرتب· وهذا ما يتناقض مع تصرفاته العدائية للرجل المصاب حتى قبل ان يتكلم مع ضابط الشرطة او معاونيه فضلا عن تناقضه مع دوره الذي يمثله من الناحية الرمزية · ثم اي داع لادلاء الناس

بشهاداتهم عن الحادث للطبيب بينما هم لم يدلوا بشيء من ذلك للمحقق وهو محقق وحضر قبل الطبيب ؟

جـ ان ترك الرجل المصاب في الشارع حيث ألقت به السيارة ينتظر سيارة الاسعاف ومن غير تلقي اي علاج ولو شكلي لمدة عشرين عاما امر غير واقعي وليس من حاجة تبرزه او ضرورة تدعو اليه ٠ وما كانت القصة لتتضرر لاظاهريا ولا رمزيا لو نقل الرجل المصاب الى مستشفى بسيط تجري له فيه الفحوصات الشكلية وتقدم له العلاجات الوهمية ٠

هذه المآخذ السالفة ، اساءت في نظري الى واقعية القصة ونالت من الاثر النفسي المرجو تحقيقه وزاد في هذا سوءا فيما ارى هذه النهاية التي انهى بها الزميل «عباده» قصته حين قال عن زوجة الرجل المصاب : «لقد **تزوجت** بابن خالتها **واعطت** كل اموالها واموال رجلها للزوج الجديد وهي تقول : انها في الف خير» ٠

ان هذه النهاية تناقض مسار القصة وتناقض الاحداث الممهدة لها فوق كونها تناقض رأي القاص نفسه وفق ما اظن او اعتقد٠فمسار القصة كان يدعونا الى مشاركة الرجل المصاب شعوره بالظلم وانه ضحية تآمر مفضوح فكيف تكون النهاية كهذه النهاية !؟ وكان يمكن اللجوء الى تخريج غير قوي فنقول : ان العبارة لم تسعف صاحبها وجاءت متمردة ولكن ماذا نقول حين نقرأ بعدها مباشرة:

«الحقيقة لم اسمع صوتها ولكن هذا هو الموجود ٠٠٠ أيؤلمكم ذلك ؟» !

وليسمح لي الزميل ان اعاتبه لتعجله في نشر القصة قبل اكتمالها وقبل تسويتها التسوية المرضية ٠ ولينظر معي الى مثل هذه العبارة وكيف كان يمكنه ان يدققها ويقومها دون كثير جهد :

أـ «اما ان اطلق لها (اي للحقيقة) الحرية واما ان اختنق والافضل من كلا الشرين ما احدثكم به الان» أليس هذا الحديث هو اطلاق حرية الحقيقة ؟ فلم يعتبره شيئا ثالثا «افضل من كلا الشرين» ؟

ب ـ «يا للهول انه بالفعل هنا لكنني ابصرت معه ابناء عمومته قد ضربتهم نفس السيارة» فمن هو ثالث الثلاثه هذا ؟ هل هو الضفة الغربية ؟ أليست الضفة الشطر الثاني من فلسطين ؟ أليس احتلالها ضربة ثانية للرجل الذي ضرب قبل عشرين عاما ؟ أليست الثانية خطوة اخرى على طريق اتمام التزوج من زوجة هــذا الرجل ؟

والخلاصه ٠٠ لا نقاش في توفر المقدرة على القص عند الزميل «عباده» ولا نقاش في توفر الكثير من اسباب نجاح القصة ، ولكنه ـ كما يبدو لي ـ يستعجل نفسه او هو يضيق ذرعا بقصصه فيسرع بها الى المطبعة وهذا ما لا تحمد عقباه ٠

---

## كتــــب جديدة

## سلمان ناطور : ما وراء الكلمات

الاسلوب الذى اتبعه الاديب سلمان ناطور في مجموعته «ما وراء الكلمات» يختلف عن الاساليب التي اتبعهـا غيره ، ذلك انه لم يتقيد بالشكليات الفنية فكتب عمـا يجول بخاطره ، عما يؤلمه ويسعده ، حاول ان يرسـم مشاعره بالكلمات ، لذا فقد اطلق على قصصه هــذه اسم لوحات ادبية فلسفية اجتماعية انسانية ٠٠

يقول سلمان مفسرا اسلوب اللوحات : انه افضـل اسلوب للتعبير عما نحس به ، انه يتيح لنا وضـع الكلمات في مكانها المناسب ، ففي كثير من القصص تراني اقتل بطل القصة في الاسطر الاولى ، ثم ، مـا يأتي بعد ذلك هو تحليل سيكلوجي فلسفي لما حدث ٠

فالاحداث في القصة لا معنى لها في رأي الكاتب ، المهم ما يأتي بعد الاحداث ، لان كل حدث يجب ان يكون له معناه ومغزاه العميقين ٠

**- هذا بالنسبة للاسلوب ماذا بالنسبة للمضمون ؟**

- اعتقد انني مجدد في نوعية المواضيع التـــي اتحدث عنها . وهي الانسانية والسيكلوجية والفلسفية، فقد قدمت نظريات جديدة تناقض بعض النظريـــات القائمة ، كرأيي في تحليـــل الثورات والحريـــة والميتافيزيقيا .

**- هل تقوم نظرياتك على التجارب الحسية ؟**

- الصعب في الفلسفة انها لا تقوم على التجربـــة الحسية . لا يمكن اثبات النظريات بواسطة التجربة ، انها معاناة ذهنية شاقة ، ولذا فانها تظل في موضـــع التساؤل والاستفهام .

**- في قصصك او لوحاتك كما تحب ان تسميها رمزية وغموض ، هل لك ان تفسر لنا موقفك من هذه الظاهرة التي تسيطر الان على قطاع واسع من ادبنا المحـــلي ؟**

- يمتاز عصرنا بالغموض ، الغموض ميزة مـــن ميزاته ، هو اكثر مما ذلك ، انه جوهر هذا العصر ، الناس يختلفون في فهمهم وادراكهم للظواهر والاشياء، لا يمكن ان نقدم اسلوبا مبسطا ، لاننا بذلك نكون ملتزمين بتقديم افكارنا ونظرياتنا الى الفئة التي تحب الاسلوب البسيط .

**- وما العيب في التبسيط ؟**

- العيب هو في ان القارىء الذي لا يفكر بما يقرأ ، لا يقرأ شيئا . والكاتب لا يستطيع ان يكون بسيطا لان بعض قرائه من البسطاء ، والرمزية تدفع بالانسان الى ان يحاول التفكير والدراسة والنقاش .

ويسترسل صديقنا الاديب قائلا :

- انا لا اكتب قصص الف ليلة وليلة ، ولا اكتـــب عن البطولات التاريخية ، ولا قصص الغرام التي يتزوج ابطالها في النهاية ، او ينتحرون . انني اقدم افكارا ، ومن لا يريد ان يناقش فكرة الانتحار واليأس والموت فلا حاجة لان يقرأ عمن انتحروا في قصصي . كذلك لا اطلب من القارىء ان يبكي عندما يقرأ عن « الجندي المجهول » او عن الفتاة التي ولدت في انبوب اختبار .. انا اعتقد ان عصر التأثر العاطفي قد مضى وجاء دور التفكير والدراسة والنقاش .

ولنعد قليلا الى كتاب سلمان الاول « آراء ودراسات » الذي هو اول كتاب فلسفي صدر بالعربية لكاتب محلي وفيه حاول ان يعطي القارىء فكرة واضحة عن الفلسفة، فجاءت مواضيعه مبسطة .

نعود اليه لنقول ان سلمان اراد للقارىء ان يتعرف على الفلسفة بوضوح وبساطة ، لينقله بعد ذلك الى الاسلوب الاصعب والمعقد في الفلسفة ، وهو الجمل التي لا تقبل التبسيط ، ففي « ما وراء الكلمات » حاول ان يعبر عن فلسفته الخاصة باسلوب جديد ، اسلوب اللوحة الادبية والمسرحية الذهنية .

لقد درس سلمان تاريخ الفلسفة منذ نشأتها حتى ايامنا هذه ، لم يتأثر بفيلسوف معين او بنظرية خاصة، حاول ان يفهم الجميع واعجب بصفة خاصة بالفلسفة الوجودية والماركسية .

ولد صديقنا الكاتب في دالية الكرمل عام ١٩٤٩ ، وبعد دراسته الثانوية التحق بالجامعة العبرية فـــي القدس ، حيث تخصص بالفلسفة العامة وبتاريـــخ الشرق الاوسط ، وقد اشتغل في بلدية اورشليم القدس مديرا لقسم الموظفين العرب ، ثم مراسلا ومحررا فـــي قسم الاخبار العربية في التلفزيون الاسرائيلي .

في سنة ١٩٧١ اصدر عن « الشرق » : آراء دراسات، وفي سنة ١٩٧٢ صدر له عن « الهدى » مجموعتـــه القصصية والمسرحية « ما وراء الكلمات » التي اعيـــد طبعها في مارس ١٩٧٣ . وتترجم الان الى اللغتين العربية والفرنسـية .

وقد نشر سلمان العديد من المقالات والقصص فـــي « الشرق » و « الانباء » والبرنامج الاذاعي « مع ادبائنا المحليين » .

اما مشاريعه للمستقبل فتتلخص في مسرحية مطولة عن فتاة مصابة بمرض ازدواج الشخصية ، ومجموعـــة مقالات فلسفية اجتماعية ، ودراسة عن الفلسفة العربية والاسلامية ، ومجموعة خواطر انسانية تحت عنوان « على الناصية » .

**ميشيل حداد**

## ادمون شحادة : تلاحم الوجوه والمعاني

**تلاحم الوجوه والمعاني** * نماذج للاشياء وللافكار، وللمضامين، للصور وللرموز ·

انها حكاية الفن المعاصر وسيرة الشعر الجديد، وضعها ادمون في صور «مبروزة» في أطر منها ما هو صحيح ومنها ما هو ممزق، ولكنها تظل بروحها ضمن المدرسة الحديثة قلبا وقالبا ·

لن اعير التفاتا لالتزام القصائد الاولى اوزانا وقوافي، فقد بقي المضمون على جانب كبير من الحداثة والجودة· فكثير من الشعر المعاصر الجيد، التزم الشكل التقليدي وما انبثق عنه من اشكال في تركيبة التفاعيل ·

ان صدور ديوان جديد ضمن مدرسة الشعر الحديث لشاعر يضع مدماكا في بناء الشعر العصري الجيد، امر جدير بان يولم له في حفل الكلمة، بيننا، نحن المتقوقعين على انفسنا نتباكى على ايام زمان، كانما التحسر يعيدنا الى الماضي او يعيد الماضي الينا ·· فاذا حدث، لا ندري ما الذي ستفعله بالابل والخيام!؟ «ونواجه» النجوم بلا ضوء وبلا ازرار ·

في سلم التطور نحن الان نصعد درجة، فالحنين الى الماضي، يدغدغ قلوبنا، ويحبب الينا جذورنا وتراثنا، وهذا جميل وواجب، ولكن على ان نحمله معنا ونحن نرتقي ونتقدم، نحمله ونرتكز عليه نحفظه بقلوبنا نرجع اليه باعجاب وباعتزاز · تضمنه شعرنا وادبنا ولكننا لن نسمح لاحد ان يشدنا الى الماضي ويقيدنا به ويربطنا عنده ·

عصرنا عصر التعقيد، والقلق، والمشاكل، والانسان الذي يعيش هذا العصر طبيعي ان يحن الى حياة السلف، والتهديدات والاخطار في الماضي لا تقاس بالنسبة للحاضر، وشاعرنا اصيل، يقف مرفوع الرأس · رغم الشدة، وشخصيته ووجوده :

**فاذا تهت فظلي لا يضيع**

ذلك لانه لديه في رقعة الشطرنج :

**لم يزل رخ وبيدق**

فهو يأبى ان يتمزق ويأبى ان يستسلم بل ينثر في الدرب ازهارا ويكتب شعرا، فالشعر :

**شعاع في طريق الامنين**

انه يدعو ايضا الا الاستمتاع بمباهج الحياة على وجه الارض، اذ ماذا بعد ان تلحد ؟ حتى اولئك الذين يدعون الى التعفف، لديهم رغبات في الاستمتاع، ففي سره، ذاك الداعي الى الفضيلة :

**يتسلق ابواب اللذات**

**يبتاع الانثى والاسرار**

وعكسهم الهيبيون، الفوضويون الذين لا تحدهم القيم

**رفضوا معنى الاذواق**

**في الكهف المعروق الاحداق**

هؤلاء الناس لم يدنهم الشاعر، كما لم يدن «العفيين» ان صح التعبير · ويستعرض في قصيدة اخرى نموذجا من البشر المثاليين، الذين يعملون ويضحون في صمت وشجاعة :

**يعبرون الحزن في صمت**

**ويتلون الصلاة**

**يعبرون الخوف لا خوفا على باقي الحياة**

* ادمون شحادة : **تلاحم الوجوه والمعاني**، اصدار مجلة «الشرق»، القدس، ١٩٧٣ ·

ومع وجود امثال هؤلاء يوجد ايضا اناس من نوع آخر ! العالم في نظرهم رقعة شطرنج ربما يحركون اخشابها حسب اهوائهم ومصالحهم ، انهم القادة ٠

**وبضربة فرشاة عمياء**
**زرعوا الالوان**

ان الحياة ليست دربا فحسب انها درج ايضـــا يصعده الناس ويهبطونه :

**والدرج يئن بعشلقة**
**ويموت بلا اعـلان**

والانسان الذي بارتقائه انما يصل الى مصيره ٠٠ الى آخر درجات السلم وهو بهذا الارتفاع انما يهوي ويبقى مع هذا يبحث عن المجهول :

**وهوى وهوى نحو القمة**
**بحثا عن دنيا عن ايمان**

ومع هذا فان البحث يقود الى التساؤل امام جدار من الشك وباب مغلق امام العقل البشري ومنطقه :

**فغيوم الصيف اذا ماتت**
**في درب العمر ، اتبقى**
**الشمس بلا مأوى ؟**

ويعود لذاته ليقول :

**فانـــا بـــاق**
**لن انكث عهدي او وعدي**

حتى لو ان الحياة او الحبيبة افشلته وخيبت ظنه : « حتى لو نامت مع غيري » ٠

ويصل قضية الحق والعدل ، بحكاية سليمان الحكيم التي كتبها بريخت في مسرحية «دائرة الجير القفقاسي» والشاعر هنا يائس من العودة الى عدل سليمان :

**فالعنف اساس الحرية**

والعنف هـذا يقودنا الى الانانية وحب الـــذات والسيطرة والرغبة في امتلاك المجد ، فنحن الشرقيين لا نحتمل الهزيمة :

**ما احتملنا مرة نخسر لعبة ٠٠**

ونريد مثالا ، نريد بطلا نهتف له نتشبث به ونجعله شعارنا ، حتى في الملاكمة فان كلاي صاحب الشعار المعروف « ارقص كالفراشة ، السع كالنحلة » صعبت علينا هزيمته الاخيرة :

**ما احتملنا مرة نخسر لعبة**
**ان خسرنـــا**
**ناكل النار ونجتر الحجر ٠**

وهذا على كل حال لا ينجينا من القلق والاحساس بالعنف فبالرغم ان

**النسر عانق القمر**
**انسان جيله داسه**

فهو قوي حين يغزو الاقمار والنجوم ، الا انه ضعيف خائف لان :

**الف الف مدفـــع**
**تدك احلام البشر**

والموت يترصد ٠٠ فهل نعيش هكذا باستسلام للقلق منتظرين عودة ايليا ؟

**يحكي لنا عن قصة البعث الجديد**

ان نصيب المرأة الشرقية من الحياة اقل بكثير مـــن نصيب الرجل ، فهي تقاسي نير التقاليد ، وتواجه المجتمع بدقات قلبها وبقيود يديها ورجليها ٠

**نتوق الى الانعتاق بغير خطايا**
**ونهفو لبيت صغير بوادي القمر**

ان الشاعر ينتصر لها ، ولا شك انه قاسى مـــن قيود هذا المجتمع ومن قوانينه الجائرة ، ويرى ضرورة ممارسة الحياة على مستوى الحب والجمال ٠

وفي تجريد بسيط يروي الشاعر حكاية الصـــد والوصال حكاية الحب الشرقي المتردد :

**العمر يضيع بلا معنى**

ويعود ليصور الانسان وصراعه في الحياة ، ومسيره في دربه المجهول ، في الدين ، في الاسطورة ، في مقابلة الولادة والموت ٠

وفي قصيدته الرومانسية الوحيدة في الديوان كتبها حين باحت له الانثى بحبها واهداها « حكاية حب » :

**حكايتنا ، كعمر الدهر لا اول ٠٠ لا آخر**

هكذا ببساطة يستطيع الشاعر الحديث ان يقـــدم لحبيبته باقة من الابيات الناعمة ، وقصيدة حب بــلا كلام معجز ، وتعبير لغوي :

**كنهر هادىء يجري**
**بسهل اخضر سحري**

ولكن الشاعر يظل مسافرا ، محتارا ، يضيع في كثرة دروبه بين اناسه واشيائه فهو يقول في « عاشق الاســفار » :

**حيثما سرت ارى وجهي العتيق**
**بعد ان ضيعت اشيائي ودربي والرفيق**

ومع هذا فهو يريد ان يكون صريحا ومنطلقا ، بلا تزمت وبلا اباحية ، يريد ان يتساءل :

**لم لا اقول صراحة اني احب**
**ان كنت حقا عاشــقا**
**للنور للريحان للارض التي فيها ظهرت**
**ان كنت اصحو للجمال وللعناق ..**
**ولي شرايين وقلب**

وعند « هكذا » يتوقف شاعرنا عن استعمال الايقاع العروضي ، بعد ان برهن على طول باعه في خوض معركة الشكل المقيد ، والانسان بقصيدة « هكذا » متعلق بالعادات والتقاليد ، بالقيم والمثل :

**رزينة تسير الافكار في صدري**
**رزينة على امتداد العائلة**

ومع هذا فنحن ضمن قيودنا نصنع ما نشتهيــه خلسة ، خارجين عن عاداتنا فنحن

**ناكــل اجدادنا**
**ونتابع اعمالنا السرية**

ولكن الشاعر يتمرد على تبعات مجتمعه وقيوده فيقول : «لن اسمح لبقيتي ان تستريح بعذاب الطبيعة» ، ولكن المصير يتراءى لكل حي يتعرف عليه حين يشترك بالجنازات فيقيس الزمن المتبقي منتظرا :

**ننتظر داخل عتمة جلودنا**
**الساعات التي لا تتعدى الستين**

وعندها نتشبث بالغيب ، بالقوة المجهولة التي نرجع اليها حين تلم بنا الشدائد ، مرة نقاوم ومرة نرضخ للقوة ، فنمتنع ، ولا نقوى على التغيير ولكنهم حــين يتنافسون فيما بينهم ، يغرون بعضهم في السلطة ، نرضخ القاعدة ، ونستسلم بحكم العادة والضعف :

**تعودت على مصافحة الكراسي**
**الانحناء امام الواجهات**

ويعود الشاعر ليرثي افكارنا ومواقفنا ، نحــن القطاع الشرقي من العالم فاحزاننا كبــيرة لا تجدي ومدينتنا تتسكع وراء التاريخ ، وشبابنا على ارصفة الحضـــارة

**ياكلــون الطحالب**
**ينامــون على القدر**

وينتقل الشاعر بقارئه في شوارع المدينة المصرية في انديتها الليلية ، في ازدحامها في اناسها العديدين الذين:

**امام الالوان المضاءة**
**بالمصابيح القادمة من هناك**

ويظل الانسان المصري عاجزا محتارا قلقا يحاول الهروب ، يناقش عجزه ، ويبرر موقفه .

بقيت قصيدة نثر اختلفت عن سابقاتها من حيــث كتابتها في فقرات ، وهي ذات موسيقية عميقة خاصة ، لعلها تلخص القصائد السابقة ، ثم ، انها تلخص ايضا آراء الشاعر ، انها قصيدة « سلاسل العنب » يختتمها الشاعر بان « لا مياه في طريق السراب » . لا امل في النهاية ،لا امل من المصير .

مما سبق ، نجد ان الذين يتهمون الشعر الحديث بانه بعيد عن الحياة ، انما يمضغون افيون الرفض ، ويضعون بينه وبين خمالة عقولهم « اسمنتا مسلحا » من اللاءات المخزية التي ليس وراءها اية دعامة .

و**تلاحم الوجوه والمعاني** يزخر بالبراهين عــلى ان الشاعر يعيش حياته وعصره بكل الدقائق ، والقطاعات، ويرى ما لا يستطيع ان يراه غيره من صناع الشعر .

والمجموعة تزخر بالمضامين الانسانية المتنوعة تزخر بالصور الاصيلة ، والتعابير الجديدة التي نحتها ادمون من خلال تاثره باسلوب الشعراء الحديثين الذين قرأ لهم من قريب ، ومن بعيد .

**ميشيل حداد**

# جمال قعوار : **غبار السفر**

جمال قعوار في ديوانه له طعم جديد . ونكهة مستحبة وانا من رواد هذه النكهة حتى ولو كانت نثرا ، لم احفل في مطولته بالوزن ولا القافية وانت ما دمت تقرأ شعره لا تفتقدهما ، فالموسيقى الداخلية هادرة تارة ، وهادئة طورا تلتقط المعاني كأنك غواص درر ، تستجلي وتستملح ، وربما عثرت على بعض الزيف لكنك تبقى صيادا .

وماذا في المطولة من مضامين ؟ لا تسلني ! ولكني اعطيك مفتاحا فاذهب مصحوبا بالسلامة حتى الغرفة السابعة التي ستجد بها الجنية .

المفتاح : جمال طالب ـ لا يهمني كيف تفهم الكلمة طالب يد السلام او طالب القمة ـ يسمع تحديا وصفة نابية يطلقها اناء ناضح .

فصعد جمال صوته ليستنكر في وقت يبهت فيه الصوت ، فجاء استنكاره وثيقة شعرية مرحلية هامة لانها استقطبت احساسات عارمة ظلت تتفاعل ، ونبضا دفاقا يظل يموج ، وتتفاعل ويموج ضمن دائرة الوهج المأساتي الذى بلونا فيه انواع التأسي .

فعندما شربت ينابيع جمال واكلت حقوله كان جمال ساكنا كبعض شعراء الفن للفن ، واذا بكلمة واحدة لم تخرج من فم الرب تجعل من جمال رجلا بل معلما بل شاعرا يستعرض تاريخه وتاريخ ادبه ، فيأتي بفلتة مفاجئة ليس على تصعيد القضية فحسب ، بل على تنامي مفعول الشعر .

مزج جمال بين حساب الذات والخطاب ـ والموضوع يضطره ان يكون خطابيا ، ولكن على جمهور مثقف يستطيع ان يعيد ويستعيد يتذكر ويذكر فرموزه التي المع اليها ليست مستغلقة بل ان الباب مفتوح نصف فتحة ، يرحب بكم جمال في بيته كما قال « حياك الله وبياك » .

احسن انتقاء المراجع من ابي العلاء وابي العتاهيه ، من جرير وابي تمام ، من امرىء القيس وبشر بن عوانه .

وفي التاريخ :ـ من يوم حليمه وكربلاء ومن الاسطورة شهرزاد والسندباد ، ثقافة انسانية شاملة صنع منها شعرا .

فعندما يقول جمال :

**حتى متى يبلغكم الفطام**
**فارى المخاريق بايدي اللاعبين**

على المستمع ان يبعث عمرو بن كلثوم ويستوحي :

**اذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا**
**كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبينا**

أتصور ان الشاعر القديم رضي عن الشاعر الحديث، لا لانه استعار منه بل لانه عرف كيف يفهمه ويذهب الى ابعد من ذلك في التفتيش عن معاني السؤدد .

وعندما يقول جمال :

**الثعالب جائعة**
**والنواطير نائمة**
**غافلة عن العناقيد**

لا بد لك في رهبة الموقف ان تقرأ قصيدة المتنبي كاملة حتى تستغور هذا التضمين .

ويسأل جمال :

**اين انت يا بدر بن عمار ؟**

ومع ان الاسم وحده يثير تداعيات على اكثر من وجه فانه بالتالي يوقفنا في بلاط بدر بن عمار الذى تولى حرب طبرية من قبل ابي بكر محمد بن رائق سنة

٩٣٩ م ، فقد اثار جمالا ما قاله المتنبي في بدر يـــوم ان صرع الاســـد

**الفارج الكرب العظـام بمثلها**
**والتارك الملك العزيز ذليـــلا**
**امعفر الليث الهزبر بسوطه**
**لمن ادخرت الصارم المصقولا**

فسوط بدر على رأي جمال ينقذ من هام الرفاق تلولا وهذا يعيدنا مرة اخرى الى البلية التي وقعت ٠٠

× × ×

والكتاب الذى ظل يضيء له وجه الطريق كان لـــه تأثير على بناء شخصيته الادبية فشاعر يقول

**انا صببنا النار صبـــا**
**ثم انا صببنا النار صبا**

أكاد اقول اتى بآية ، انه يستفيد من هذا التراث العظيم الذى يحبه الشاعر يقول لنا

**واما القاسطـون ٠٠٠٠**
**فقد صدق الله العظيم**

ومكان النقاط ليس في صالح الظالمين حتى ولو لـم نؤمن بوجود ما يدعى جهنم ، وهو يدرك تماما مـآل القاسطين ومآل المقسطين ٠٠

الفئة الاولى كانوا لجهنم حطبا ، والفئة الثانيـــة يطالبنا القرآن «وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين» ٠

فالشاعر يرى منكرا ويريد ان يقومه ، فالاسلوب الاول متعذر حاليا والاسلوب الثالث ينكره وهـــو بحاجة ان يقومه كذلك ٠

اذا فالاجدى ان يستخدم لسانه وشعره ومن هنـا نبـــدأ :

**وذات العينين الواسعتين**
**حقول تموج بالذهب**
**وتنتظرنـــي**

**ماذا تريد ايها الفارس الجميل**
**اريد وردة حمـــراء**
**لعيني حبيبتـــي**

هنا تتساوق البساطة مع البعد فرغم ان الكلمـات ليست من السهل الممتنع فان بها عاطفة زاخرة ذات مد شعورى رقراق ٠

لنقـــرأ :

**« وانت يا ذات العينين الواسعتين**
**يـــا ذات الجدائـــل الســوداء**
**والاهداب التي تتكســـر حيـاء**
**ساعود اليـــك قبـــل القمر »**

مرحبا بالعودة لهذه الحبيبة الجميلة،الحزينة العينين التي يطلب منها الشاعر ان تعانقه كلما خطا خطـوة صاعدة ، ان تبارك قلمه كلما بصق في وجه الشر ٠

وما هو الشر يا ترى ؟ انه اخطبوط ، هو الغرور بعينه ، ان تأتي المذمة من ناقص ، الكذب على التاريخ ، القرصنة في اعالي البحار ، الدبابة ، رفض تراثنـــا الذى عانق المجد ، ان ينكروا علينا حب القمر ، الظلام الاصفر ، الولد الارعن ، السكين المفلل ، اسنان الغول المسنونة ، ومطاردة المماليك ، الى الحـد الذي يكون ازمردا مستعدا لاجتياح السماء ٠

الذى يؤخذ على هذا الديوان سيطرة الذهنيـــة والتفكير الطاغي على المد الشعورى الرقراق الـــذى اشرنا اليه ٠

ثم لا ادري ما الذي جعله يستحلي هـذا الافتتاح «ربما كنت قذرا» اما كان الاجدى لو مزقنا الصفحـة الاولى اربا ٠

ومما يعجبني كثيرا حتى ضمن دائرة التفكير الطاغي ، ان يكشف جمال عن هويته ويقول انا جمال قعوار مولود في الناصرة ولي من الاولاد «لمى وربيع يلعبان حول الدار ، ضحكة نيسان في ثغريهما والمصير يترجـح على كف عفريت »

**فاروق مواسي**

# فوزي جريس عبدالله : **الطيور المهاجرة**

**١ ـ في بلادي**

في بلادي تنطلق اصوات، وتعلو صيحات • وفي بلادي صفحات ومنابر وجدران واوتار تحفل بما تنطق به اقلام والسن وريشات وانامل • جلها تتسع افقيا ولا تتوجه عموديا كما يقول اهل الهندسة ، او جلها تبحر على السطح ولا تتعمق الى الاغوار ••

وفي بلادي صحف ومجلات يحررها رجال ظلت الصحافة في حياتهم امرا ثانويا •

قرأت عن عصور كانت الصحافة فيها «صاحبة الجلالة» وكان رجال الصحافة يعيشون حياتهم صحافة ، وصحافتهم حياة •• اذا اختل امر من امور الصحيفة فكأنما اختل امر من امور حياتهم •• ينظرون الى الصفحة التي يحررونها كما ينظرون الى مرآة تصور انفسهم ، يطعمونها ما تستحق من الاموال •• والعرق •• والدماء ، من الافئدة والاكباد •

وانظر الان الى عصر تعيش الصحيفة فيه على هامش حياة محرريها • ويعمل المحررون فيه عملهم كواجب ثانوي •• همهم الكبير ان تتهيأ لهم حروف وكلمات تملأ الفراغ الذي يسمونه في هذه الايام صفحة ادبية او ملحقا ادبيا •

لم يعد غريبا ان تمتلىء الصحف في هذا العصر باسماء اشخاص يكتبون في موضوعات لا يمتون اليها ولا تمت اليهم بسبب ، واصبح من المالوف عندنا ان يكتب احدهم في الف موضوع وموضوع دون ان يحسن منها موضوعا واحدا • وصار من الشائع ان تسمع عن اصحاب اقلام لا يحترمون اقلامهم ولا يحترمون اسماءهم • واصبحنا لا نكاد نعثر على ادب يرضى عنه الادب ، او بحث يرضى عنه البحث •

اجل ،

لقد اصبحنا اليوم على ما لا نحسد عليه •

كلنا شعراء

وكلنا نقاد

وكلنا ادباء

ولكننا لا نضم في صفوفنا قراء ، لاننا لم نعد نجد ما يستحق القراءة في الكثير مما ينشر في بلادي •

ففي بلادي يطالع الانسان بحثا ما فيلخصه او يمسخه وينشره ، ثم يسمي نفسه باحثا •

وفي بلادي يحسن الانسان بعض عبارات الشتم او التملق ويسمي نفسه ناقدا •

وفي بلادي لا يتقن الانسان الاملاء ويسمي نفسه اديبا فمن ينقذ بلادي مما في بلادي من الخطأ !؟

**٢ ـ الشعر**

والشعر في اعتباري محراب مقدس ،

لقد طردوا امرأ القيس من اجل الشعر ••

ونفوا ابن ابي ربيعة الى جزيرة وهلك من اجل الشعر

وشجوا رأس المتنبي من اجل الشعر ••

وظل الشعر في اعتباري محرابا مقدسا •

لقد قالوا : الشعر من وحي الشيطان ، وقالوا : الشعر من وحي الملائكة • وقالوا : الشعر هو الكلام الموزون المقفى • وقالوا : بل هو العالم الذي لا تحده حدود • وقالوا : الشاعر نبي والشعر رسالة • وقالوا: بل هو كلام ساذج يتصل ببدائية العصور وسذاجة الاجيال ، ولقد كثر الشعراء وقل الشعر ، وتطفل عليه ادعياء لا يمتون اليه بسبب • وظل الشعر في اعتباري محرابا مقدسا •

واختلفت الاراء وتفرعت المدارس ، وكان مجددون وكان مجترون ، واتهم البعض بالجمود • واتهم البعض بالخروج ، وكانت شتائم وكانت مناوشات •• ولمعت اسماء وخبت اسماء ولم يبق الا وجه الشعر : الديوان الخالد وسلوة المحزون وامل اليائس وهدى الضال الى واحة الامان •

ظل الشعر الخالد يرافق الانسان في رحلته الموحشة منذ الكهوف حتى سفن الاجواء •

جميلة هي كلماته

عذبة هي موسيقاه

دافقة هي عواطفه في اشكاله التقليدية والتجديدية ، والحديثة ، في تقيده وفي تحرره ، في مقفاه وفي مرسله ، في نغمته الايقاعية وفي نغمته الداخلية ، لانه حاجة من حاجات الانسان مثله مثل الموسيقى والرسم ، ومثله مثل الطعام والشراب ، ومثله مثل النور والهواء •

**٣ ـ طيور مهاجرة**

ونحن فوق هذه الارض الطيبة مازلنا نحب الشعر ، نحب الشعر بقدر ما هو شعر •• بقدر ما هو ذكرى وعاطفة ، لا بقدر ما هو تقطيع واوزان ، وان كان الوزن

الملائم يضفي على الشعر روعة اخرى كما كان يضفي النغم العذب الذي يصنعه اسحق وابن جامع روعة اخرى على اشعار الاحوص وغيلان .

والشاعر فوزي جريس عبدالله يلتزم الوزن المناسب في مجموعته **الطيور المهاجرة** *

فلماذا كانت طيور ؟

ولماذا كانت مهاجرة ؟

انا لا اعتقد ان انسانا ما يمكنه ان يصل الى تفسير محدد لهذا العنوان الذي اختاره الشاعر لمجموعته .

فالعنوان شعر كما ان المحتوى شعر .

والشعر لا يفسر بتفسيرات محدودة وان كنا نستطيع ان نتحسس ، وان تستجيب قلوبنا الى الايحاء البعيد الذي قصده الشاعر .

فالطيور موطنها الجو ، تظل محلقة في العلاء ما استطاعت ان تبتعد عن الارض وترابها وحصاها ، فان شق عليها الامر وكلت اجنحتها من الرفرفة ، ولم تعد تقوى على حملها لحظات اخرى فوق هذا العالم حطت ، ولكن ليس على الارض وترابها وحصاها ، بل على افنان السرو والسنديان والتين والزيتون .

والمهاجرة ، جماعة مظلومة من الاحياء انتابتها ظروف قاسية اضطرتها الى مغادرة المكان الذي الفته واحبته في عملية حزينة من عمليات صراعها مع البقاء .

سمو وحزن .

هذا ما استوحيه من العنوان الذي اختاره الشاعر فوزي جريس عبدالله لمجموعته .

والمجموعة الجديدة تحتوي على اثنتين وعشرين قصيدة تتناول مختلف العواطف التي تنبع من حياتنا المعاصرة ، بالاضافة الى العواطف الانسانية الدائمة التي كانت وتكون ما دام هنالك انسان يشعر على سطح هذه الارض .

المجموعة الجديدة توحي بالامل والكفاح ، تنقل الى قلوبنا تاملات الشاعر في الحياة ، تفاهتها وعبثيتها وافتقارها الى العدل .. تتحدث عن البسطاء واحلامهم وصراعهم .. الى جانب تحدثها عن عواطف اخرى سامية .. عواطف الحب والامومة والصداقة ..

### ٤ – علا

و«علا» هي اولى قصائد المجموعة

وهي طفلة الشاعر الاولى .

والطفل الاول في حياة زوجين جديدين تجربة كبرى .. شروق جديد يخفق له القلب .

**خفق القلب للشروق الجديد**
**يغمر الكون بابتسام الوليد**
**فامرحي يا قوافل الشوق في عمري**
**وحثي الخطا ليوم سعود**
**وارصدي ضحك طفلتي زقزقات**
**تنشر الضوء في رحاب وجودي**

هكذا الشاعر بصفة خاصة ، وهكذا الانسان بصفة عامة يرى ان الناس الاخرين وحتى الطبيعة يشاركونه او ينبغي ان يشاركوه في هذا الشعور او تلك العاطفة فالشاعر القديم كان ينكر على شجر الخابور ايراقه ويعتب عليه لظهوره بمظهر غير الجازع على ابن طريف .

والشاعر فوزي جريس عبدالله الذي خفق قلبه لهذا الشروق الجديد يراه قد عم الكون او غمر الكون بهذه البسمة الحلوة التي يبتسمها الوليد الجديد .

عاطفة ينفعل لها كل انسان ، ومن هنا كان السر الذي يفسر لنا الفرق بين شعر وشعر ، فان كان الشعر لا يهتز له الا الشاعر وحده او افراد مجتمعه الضيق دون الاخرين كان الشعر محدود الافق ضيق الانطلاق ، وان استطاع الشعر ان يحرك اوتار القلوب لدى مجتمعات واسعة كان الشعر انسانيا عاما .

وليس المقصود هنا ان يقتصر الشاعر على العواطف الانسانية العامة وترك المناسبات الخاصة من اجل ان يكون الشعر انسانيا عالميا .

وليس المقصود ان نفهم ان شعر المناسبات صائر الى الانزواء .

وربما كان العكس هو الصحيح .

فان العاطفة الانسانية العامة – كالحب مثلا – لا تكون موضوعا للشعر اذا بحثت بحثا علميا من حيث كونها ظاهرة بشرية .. ولكنها تصبح موضوعا خصبا للشعر اذا كانت هنالك مناسبة معينة اوقعت الشاعر في ظروف حركت لسانه للتعبير عنها فعبر في اثناء ذلك عن المشاعر التي تتملك كل انسان تصادفه هذه الظروف او تصادفه ظروف مشابهة من بعيد او قريب .

فكل انسان مر بتجربة المولود الاول او تمثلها في مخيلته . ينجذب مع قصيدة «علا» ويردد مع الشاعر قوله .

### ٥ – رسالة الشعر

للشعر رسالة ،

وكل شاعر امين على هذه الرسالة يحاول ان يؤديها .

والشاعر فوزي جريس عبدالله يحس برسالة الشعر السامية وبوجوب تاديتها فهو يصارح احيانا ويرمز

* فوزي جريس عبدالله : **الطيور المهاجرة** ، مجموعة شعرية ، مطبعة الحكيم ، الناصرة ١٩٧٣ .

احيانا ويلمح من بعيد احيانا وفي جميع هذه المحاولات يحملنا على الايمان معه بصدق موقفه :

**جئت لا احمل في جيبي قنابل**
**لا اغني للمدافع**
**غير اني سادافع**
**ودافع**
**عن عيون الحب في وجه الصغار •**

صراحة يعلن الشاعر انه لن يتنازل عن الدفاع عن عيون الحب في وجه الصغار •

ولكنه في «الرسام واللوحة» يشير من بعيد بما يوحي بالامل والكفاح :

**دمعت عيناه في لحظة يأس**
**وعلى تاريخ امس**
**صب ملحا فوق جرح**
**وبدأ يبحث عن ميلاد صبح**
**قص من اوراقه لوحا جديدا**
**مزج الالوان في صمت عجيب**
**ومضى ينشده فجرا جديدا •**

وللشاعر فوزي جريس عبدالله تاملات في الحياة ، مثل كثير من الشعراء القدامى والمحدثين يرى تفاهة الحياة وعبقريتها ففي «كلمات» يستعير الشاعر رمز بنلوب ليصور هذه العبثية فيقول :

**ماساة من ؟!**
**اعيشها ، تعيشني**
**بنلوب كانت**
**وهي اليوم احتراف ينتهي**
**ترى ستبقى عندي بنلوب**
**تنقر الحصى**
**تحيك ثوبي الجديد**
**تعيده بنلوب خيطانا •• كما مضى**

ويذكرك الشاعر بجبران او هو يستعيد كلمات جبران في مواكبة ليصور ضياع العدل :

**واهتز شيخنا الجليل**
**وقال في صوت عميق**
**كانه يخرج من كهف عتيق**
**«العدل •• يبكي الجن»**

**٦ – الحب**

اما الحب في **الطيور المهاجرة** فلا يمتاز ولا يرتفع عن شعر الغزل المألوف •• فاذا بدأنا بقصيدة حبيبتي المسافرة التي تتالف من سبعة مقاطع لوجدنا انه يمكن اختصارها بسطرين :

**لكنني احسست اني لم اقل**
**شيئا جديدا •**

ولكن الشاعر يطيل ويجعلها في سبعة مقاطع ، وعلى الرغم من اسلوبه الجميل وكلماته العذبة التي تنقلك الى عوالم اخرى في قوله :

**مشواري الاخير**
**انت هناك •• يا قصيدة الحنين والسهر**
**انت هناك •• نقلة الوتر**

على الرغم من احتشاد المشاعر والالفاظ الرقيقة فان الشاعر لم يقل شيئا جديدا كما يعترف •• ولعلي اظلم الشاعر في هذا بسبب اني لا اريد ان اظلم الحب•

ان قصائد الحب في مجموعة **الطيور المهاجرة** لا تهبط في مستواها عن قصيدة «الدراري» مثلا في نفس المجموعة ولكن «الدراري» قصيدة القيت في حفل توزيع شهادات الانهاء على خريجات المدرسة ، وقد استغل الشاعر هذه المناسبة لعرض مشكلة اجتماعية وهي تعليم الفتاة ودور الفتاة المتعلمة في المجتمع •• وبذلك يساهم في ابراز هذه الناحية الاجتماعية وبالتالي يساهم في تطوير المجتمع وتقدمه •• ولامثال هذه القصيدة قيمة زمنية محدودة ، فهي ملائمة لوقتنا ولا يبقى منها للمستقبل سوى القيمة التاريخية ، فهي تصور مرحلة من مراحل تطوير المجتمع •

اما الحب فخالد ••

وقصائد الحب ينبغي ان تكتب لكل زمان ومكان ، فيستمتع بها الشرقي والغربي وابن القرن الاربعين •

ربما كنت اظلم الشاعر ، ولكني لا اظلم الحب •

فاذا قرأنا :

**يطول الجفاء شهورا**
**ونصنع يوما لقاء قصيرا**
**فننسى جفانا**
**ويبقى هوانا**
**قريبا حبيبا •• وهورا •**

واذا قرأنا

**اخاف ان يتركني الرجاء**
**اخاف ان اعيش وحدي في العراء**
**لكنني اظل انتظر**
**انتظر الصباح**
**في مرفا عينيك**
**انتظر الدفء وموسم الضياء**

فان القارىء لا ينفعل ولا يستجيب كما ينفعل ويستجيب في القصائد الاخرى مثل «علاء» و «الرسام واللوحة» و «كلمات» وغيرها •

ليعذرني الشاعر ان ظلمته فانا لا اريد ان اظلم الحب

**جمال قعوار**

الثمن : ليرة اسرائيلية